

أبي آدم

قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة

• العنوان على الانترنت
www.akhbarelyom.org/kitab
• البريد الإلكتروني
akhbar el yom@akhbarelyom.org

دار أخبار اليوم
تتبع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

الدكتور عبد الصبور شاهين

مقدمة

قديمًا .. قديمًا .. قبل أن يخلق الزمان .. كان الله ولا شيء معه .
ثم أراد الله أن يخلق الخلق ، أو الكون ، فقال : كن ، فكان ماأراد الله
زمانًا ، ومكانًا .. سموات وأرضين ، ومجرات ، ونجومًا وكواكب ،
ودواب .. وما لا نعلم من الموجودات التي أنجزتها القدرة الكُتُيَّة .
ثم أراد الله أن يوجد المخلوق العاقل المؤهل لمعرفة .. فكان الإنسان ..
ولعل هذا هو المعنى بما جاء في الحديث القدسي الذي حفظناه في
صغرتنا ، والذي يقول الله عز وجل فيه عن نفسه : (كنت كنزًا مخفيًا ،
فأردت أن أعرف فخلقت الخلق ، فبني عرفوني)^(١) - أو كما قال ..
فأما الزمان والمكان فقد خلقا لتحديد مانية الأشياء ، وقد جعلهما
الخالق سبحانه على مرتبتين : غيب ، وشهادة ، وإذا كان عالم الغيب قد
احتجب وراء أستار الزمان والمكان ، لا يعلم حقائقه إلا موجدده سبحانه -
فإن عالم الشهادة يحمل في تفاصيله ملامح ما مضى من الغيب النسبي ،
وهو أيضًا دال على وجود الخالق .. الغيب المطلق .. أو غيب الغيب ، وهكذا
نرى حقيقة وجود الله في تصاريف قدرته : ﴿ فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ
كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا .. ﴾ [الروم] : ٥٠ - أي : كأننا - وقد احتجب
عنا ذو الجلال - نستطيع أن نستجلي وجوده في النظر إلى آثار رحمته ..
يكفيينا بعض آثار هذه الرحمة لنؤمن بوجوده سبحانه ، أما الرحمة فلا

(١) قصد المؤلف بإيراد هذه المقولة الدالة على قدم الخالق وحدانية المطلق ، وهو معنى ظاهر من النص

تصميم الغلاف والصفحات الداخلية

عبد الكريم محمود

سبيل إلى النظر إليها.. لأنها صفة من صفات الله ﴿الرحمن الرحيم﴾ .
ولعل ذلك بعض معنى الحديث : (جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك
عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل إلى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك لجزء
يتراحم الخلق ، حتى ترفع للفرس حافرهما عن ولدهما خشية أن تصيبه) .

إن كل ما في كيان الإنسان ، وواقعه ، وزمانه ، ومكانه هو من آثار
رحمة الله ، وحسب الإنسان أن ينظر في نفسه ليستيقن بوجود خالقه ،
وليتبين آثار رحمته في خلقه وتسميته وتزويده بالنفخة العلوية التي
صار بها متميزاً عن سائر المخلوقات المشاركة في الحياة الأرضية .

ونحن نخضع أحياناً حين ننظر إلى الحياة فلا نرى منها غير ذواتنا ..
نحن الأناسي ، فأما الطير ، والحيوان والحشر ، وما ضمه عالم البحار -
فكل ذلك مجرد كائنات متحركة ، تظل تتحرك حتى يخدمها الإنسان
لينتفع بها ، أو تلقى مصيرها المحتوم فتبديد ، بمشهد من غطسة الإنسان
الذي يتربع على عرش السيادة على غيره من الكائنات .. ﴿وسخر لكم ما
في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (٢٢)
[الجمعة]

إن القرآن لا يشجع النظرة المستطعية التي تحبس إدراك الإنسان داخل
جدران ذاته ، وهو يفتح أمام النظر الإنساني نافذة رحبة لرؤية غيره بقدر
ما يري نفسه ، والله يقول : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه
إلا أمم أمثالكم﴾ (٢٨) [الأنعام] . فكل ما خلق الله من الدواب .. كبير أو
صغير ، هو من الأمم التي خلقها الله ، وألزمها بسنن حياتها ومصيرها ..
بل وعلمها ما هي بحاجة إليه في بقائها واستمرارها ، وعلاقاتها بالأمم
الأخرى من الدواب . وجاءت في ذلك إشارة القرآن : ﴿ألم تر أن الله يسبح

له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله
عليم بما يفعلون﴾ (٤١) [التود] . وهي إشارة تثبت لعرالم الطير والحشر ،
والحيوان .. وعلى وجه الإجمال : كل من له حياة .. تثبت لها العلم
والصلاة والتسبيح ، وهو أمر أكدت الآية الثالثة : ﴿وإن من شيء إلا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (٤٢) [الإسراء] .

ومن المعلوم أن أمم الحيوان والطير قد سبقت في وجودها وجود
الإنسان على الأرض ، حسبك من ذلك إشارة القرآن إلى الغراب الذي علم
ابن آدم القاتل كيف يورث سوءة أخيه . ولكن وجود هذه الكائنات لم
يشغل بال الإنسان ، لأنه لا يعقل في نظره مشكلة ..

فأما وجود الخليفة البشرية فهو للمشكلة الكبرى التي تواردت عليها
الرؤى ، وتواترت الاجتهادات .. بدءاً من الرؤية الإسرائيلية ، وقد كانت
ذات حظ عظيم من حيث انتشارها ، وتفردها على الساحة الفكرية ، حتى
وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يوردون ما ذكرته الإسرائيليات تريد
حرفياً .. دون أدنى محاولة تعرض مضمونها على العقل ، وتغفل
ما حفلت به من خرافات وأساطير .

والى القارىء جوهر القصة كما تلقيناها عن القدماء ، وكما رواها
صاحب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس (ص ١٦ - ١٧ - ط .
شقرون) :

(قال المفسرون بالفاظ مختلفة ، ومجان متفقة : إن الله تعالى لما أراد
خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض : إني خالق منك
خلقاً ، منهم من يطيعنى ، ومنهم من يعصينى ، فمن أطاعنى منهم أدخلته

الجنة ، ومن عصاني أدخلته النار ، ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها ، فلما أتاه جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض : إني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيئاً يكون فيه غداً لتلثاقاً نكتيب ، فرجع جبريل عليه السلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً ، قال : يارب ، استعازت بك فكرهت أن أندم عليها .

فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعازت بالله أن يأخذ منها شيئاً ، فرجع إلى ربه ، ولم يأخذ منها شيئاً .

فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الأرض ، فاستعازت بالله أن يأخذ منها شيئاً ، فقال ملك الموت : وإني أعوذ بالله أن أعصى له أمراً ، فقبض قبضة من زواياها الأربعة .. من أديها الأعلى ، ومن سبختها ، وطينها ، وأحمرها وأسودها وأبيضها ، وسهها وحزنها ، فكَذَلِكَ كَانَ فِي ذَرِيَةِ آدَمَ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ ، وَالصَّالِحِ وَالطَّالِغِ ، وَالْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتْ صُورُهُمْ ، وَالْوَانِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّحَابَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم] ، ثم صعد بها ملك الموت إلى الله تعالى فأمره أن يجعلها طيناً ويخمرها ، فعجنها بالماء المر والعذب ، والملح ، حتى جعلها طيناً ، وخمرها ، فلذلك اختلفت أخلاقهم .. ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طيناً لازباً ليناً ، ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالاً كالْفَخَّارِ ، وهو الطين اليابس ، الذي إذا ضربته يده صلصل .. ثم جعله جسداً ، وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط إلى السماء ، وتصعد منه أربعين بيئة ، فكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ [الإنسان]

قال ابن عباس : (الإنسان هو آدم ، والحين أربعون سنة ، كان آدم

جسداً ملقى على باب الجنة ، وفي صحيح الترمذى بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة : أن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض .. ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته ، وطول قامته ، ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيئاً يشبهه من الصور ، فمر إبليس نراه فقال : لأمر ما خلقت ، ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف ، فدخل فيه وخرج من دبره ، وقال لأصحاب الذين معه من الملائكة : هذا خلق أجوف .. لا يثبت ولا يتعاسك .. إلخ ..) .

على هذا مضت كل كتب التفسير تقريباً ، وكأنها تنقل من مصدر واحد ، مع انطواء الرواية على كثير من صور السذاجة .. مثل أن يقال : إن خلق آدم تم في السماء ، وإن ملك الموت هو الذي استطاع أن يأخذ التراب من الأرض ، وأن يعجنه ويخمره ، فلما خلقه الله أو صوره ألقاه على باب الجنة .. ويستمر الكلام في هيئة (سيناريو) .. يصف لنا ما جرى في ذلكم الأزل الأدمى ، فيجعل التراب خليطاً من ألوان الأرض ، ليكون أبناء التراب على ألوانها المختلفة ، وخليطاً من أنواع التراب إشارة إلى تنوع الأخلاق .. وهكذا ...

كل ذلك مضى في الغيب ، فكيف أطلع عليه هؤلاء القصاص من بني إسرائيل !!؟

وكيف سلم العقل الإنساني لحكاياتهم بهذه البساطة ؟ حتى اختصرت المساقفة بين الله في ملكوته الأعلى - وبين خلقه من الملائكة ، والشيطان ، إلى أن جاء دور آدم ؟

إن كل ذلك صيغار يمثل أمام العقل الحديث مشكلة خطيرة ، نتيجة التصادم بين معطيات القصة القديمة ، ومعطيات العصر الحديث ، وهو ما ظل يخامر عقل طيلة ربع قرن من الزمان ، أو يزيد ، في محاولة لفهم النصوص التي جاءت في القرآن الكريم ، وهي قطعية .. تروى وقائع قصة الخلق ، وأيضاً للتوفيق بين التصوير القرآني ، والاتجاه العلمي في تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض ، ولا حرج علينا في هذا مادامنا نرعى قداسة النصوص المنزلة ، ومادامنا لا نخالف معلوماً من الدين بالضرورة ، وما دما نقدم رؤية عقلية تحترم المنطق ، وتستنطق اللغة من جديد ، وتدعم إيمان المؤمنين بما ينطوي عليه كتاب الله من أسرار ، قد تكون خفيت عن بهائر ذوى التمييز ، ثم أن الله سبحانه لبعض السر أن ينكشف ، وللرؤية أن تنجلي ، وهو ما نؤمل أن نكون قد حققناه في هذا الكتاب .

ليست هذه هي المحاولة الوحيدة التي تناولت قصة الخلق ، فقد شغلت القصة عقول الفلاسفة والعلماء في عصور مختلفة ، وبيئات مختلفة كذلك ، ويكفي أن نشير هنا إلى رؤية ابن طفيل قديماً في قصته عن (حي بن يقظان) كما تُذكر بنظرية (تشارلز داروين) حديثاً عن نشأة الأنواع .

وأول ما اعترض ابن طفيل من المشكلات : (مشكلة خلق الإنسان ، أو كيف ظهر أول إنسان على وجه الأرض) .. يقول الأستاذ أحمد أمين في (حي بن يقظان - ص ٢٢ - ط ، دار المعارف) عن ابن طفيل : إنه لم يكن يعرف بالضرورة رأى داروين الذي يرى أن أنواع المخلوقات متصلة بعضها ببعض ، وأن ليس الإنسان إلا حلقة من هذه السلسلة .. سبقته حلقات أخرى ، إلى أن انتهت بالإنسان .

أما عند ابن طفيل فريأتان .. كل منهما يمكن أن يكون .. الأول : أنه نشأ

في جزيرة من جزر الهند ، تحت خط الاستواء ، تولد فيها الإنسان من غير أم ولا أب ، لأن تلك الجزيرة أعدل بقاع الأرض هواءً وأتمها ، لشروق النور الأعلى عليها استعداداً ، فتأثرت هذه الجزيرة بأشعة الشمس ، وتخمرت الطينة الصالحة على مر السنين والأعوام ، وامتزجت القوى ، وتعددت وتكاثفت ، وهذا ماذهب إليه بعض الفلاسفة من جواز التولد الذاتي الطبيعي . ويرى ابن طفيل رأياً آخر : أن حي بن يقظان لم يتولد من غير أب ولا أم ، وإنما ولد من أب وأم ، وكانت أمه هي أخت الملك . خافت من الملك فقذفته في اليم ، وجرفه المد إلى جزيرة أخرى ، حيث التقطته ظبية كانت فقدت ابنها ، فحنت عليه ، وألمته حلمتها ، وأرضعته لبناً سائغاً حتى ترعرع . فهذان الرأيان يمثلان رأى الفلاسفة القدماء ، فبعضهم يرى إمكان التولد الذاتي إذا اعتدلت الطبيعة ، وتم الاستعداد من تخمر وتحوه ، وبعضهم يرى أن الإنسان لا يمكن أن يتولد إلا من إنسان) .

ويستطرد الأستاذ أحمد أمين استكمال رحلة (حي بن يقظان) فيقول : (إنه حنا على الظبية ، لأنها أرضعته لبنها ، وعطف عليها كما يعطف على أمه . وما زال مع الظباء على هذه الحال ، يحكي نغماتها بصوته ، ويحكي ما يسمع من أصوات الطير ، وأنواع سائر الحيوان .. يحاكيها في الاستتلاف ، والاستدعاء ، والاستدفاع .

ولما قلدها في هذه الأصوات المختلفة باختلاف هذه الأنواع ألفته وألفها ..)

وبذلك تعلم الإنسان من تقليد الحيوانات والطيور .. إلخ .

ومن الواضح أن ابن حنبل في رأيه الأول استخرج الإنسان من الطين المتخمر ، وهو ما ذكره القرآن في خلق البشر : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْتَبِينَ ﴾ [الحجر] ، واستولده في تصوره الثاني من أب وأم على ما سترى في وجود الإنسان ، وهو ما لا يمكن أن يتصور في وجود الخلق الأول ، وافترض أن أصل اللغة هو تقليد الإنسان لما حوله من أصوات طبيعية أو حيوانية أو طيرية .. وهو أمر ليس بعيداً عما يقول به لأن كثيرون من علماء اللغة ، ولا جند لابن طفيل إلا في صوغ قصة الظبية ، وتطور علاقتها بالطفل (حَيٍّ) !! وهو مانجده لدى الغربيين في قصتهم من (روبنسون كروزو) الذي ألقى به الأمواج إلى جزيرة مهجورة ، وهناك نشأ وتعامل مع الكائنات تبعاً لحاجاته وضروراته ، وليس روبنسون هذا سوى حي بن يقظان .

نسوق ما نقلناه من الأستاذ أحمد أمين على أنه مجرد خيال يعبر عن حيرة الإنسان تجاه مشكلة الخلق ، لا على أنه اعتقاد لدى المرحوم الأستاذ أحمد أمين أو غيره ، والكتاب الذي بين يدي القارئ يؤرخ بمثل هذه النقول لتلك الحيرة الفكرية التي لم تخرج عن معطيات الإسرائيليات .

لقد كان جلُّ اعتمادنا في عرض قصة الخليقة على استنتاجات القرآن ، باعتبارها المصدر الأول والأوثق الذي ينبغي اعتماده في هذا المجال ، واستعنا بقليل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ساعدنا على جلاء المعنى القرآني ، وكان التزامنا دائماً بإقرار جملة من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها القصة ، وهي :

الأرضية : فحياة آدم : وموته : وما وقع بينهما .. كل ذلك من وقائع الأرض وأحداثها .. تسليماً بحقيقة قررها القرآن في هذا الصدد في آيات كثيرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح] . وقوله : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه]

الترابية : فقد خلق الله الخلق من التراب الأرضي ، وعناصره المعروف .. لا فرق في ذلك بين مؤمن وكافر ، ورجل وامرأة ، وهو ما قرره آيات كثيرة من مثل قوله : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الحج] ، وقوله : ﴿ أَكْفَرْتُم بِالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الكهف] . وقوله : ﴿ إِذْ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١) [آل عمران] .

البشرية : وهي حقيقة بدأ بها وجود الإنسان ، كما تقرر في خطاب الله سبحانه للملائكة .. قال : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص] . وقد كان البشر في نظرنا نقطة البدء في وجود الإنسان الذي خلق من سلالة من طين .

الريانية : بما ميز الله به الإنسان من النفخ فيه من روحه .. ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي ﴾ [الحجر] ، وبما طلب منه أن يحقق الريانية بإخلاص العبودية لوجهه سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴾ [الذاريات] ، و ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ .. ﴾ [آل عمران] . ولهذه الريانية أبعاد في حياة الإنسان لا نهاية لها .

وهذا هو ما يلخص حقيقة الإنسان وتعريفه بالاعتبار الوجودي

(١) سيقت بيان لمضمون هذه الآية عند الحديث عن (آدم أبو الإنسان)

والعِلوى، قبيهو : (مخطوط أرضى ترائى بشيرى ربانى) ، أصا كينه
(حيواناً ناطقاً)^(١) فذلك هو التعريف الذى وضعه المناطقة باعتباره
ضمن حركة الحياة متميزاً عن غيره من المتحركات الأرضية .

فإذا كان الذين فكروا فى هذه القصة متفكرين على هذه المباهى*
الأساسية : فإن اختلافهم لن يعدو أحياناً بعض التفاصيل التى لا يصر
مثلاً فى تصور الإطار العام للقصة ، وإن كانت هناك تفاصيل أخرى لم
يتطرق إلى مناقشتها السابقون .. تفرد هذا العمل بمناقشتها ، واستخراج
نتائج حاسمة منها .. أرجو أن يرضاها القارى*الذى يتتبع خيوطها .

وهنا قصة لا بد من تسجيلها ، فقد تفضل الصديق الكريم الأستاذ
الدكتور محمد هيثم الخياط - عضو مجمع اللغة العربية فى الوطن العربى
- بإهدائى نسخة مصورة من كتاب بعنوان (آدم عليه الصلاة والسلام)
من تأليف الأستاذ بشير التركى .. أحد علماء تونس ، وكان الدكتور هيثم
قد حضر الدرس الحسنى الذى ألقيته بين يدى جلالة الملك الحسن الثانى
فى رمضان ١٤١٧ هـ عن (رؤية فى قصة الخليقة) ، وتذكر أنه رأى
قبل ذلك كتاباً فى الموضوع فى تونس لأحد المفكرين المجتهدين ، فعليه
فلم يجده فى المكتبات ، ولكنه عثر على نسخة منه عند أحد أصدقائه ،
فصور النسخة ، وتفضل بإرسالها إلى - جزاه الله كل خير - فقد شعرت
عند تسلمى رسالة الصديق أن العلم رحم بين أهله ، وهو - أكرمه الله - قد

(١) لم يعجب هذا التعريف للإنسان بأنه حيوان ناطق بعض (الحيوانات الناطقة) ، ورأى أن ذلك
خطأ وقع فيه الأئمة السابقون !

وصل بذلك تلك الرخم ، وأهدى إلى قدر من المعرفة كنت بحاجة إلى
مطالعتها .

غير أنى لم أجد مناسبة لإقحام آراء الأستاذ التركى فى معالجتى
للجانب العلمى من المشكلة ، فقد كنت انتهيت فعلاً من رقتها على
الكمبيوتر ، ورأيت أن أقدم فى هذه المقدمة خلاصة لما جاء عنده فى هذا
الصدد .. وغاءً بالواجب العلمى . وعرفاناً بفضل الدكتور هيثم الخياط ،
والى القارى*موجزاً لما جاء فى ذلك الكتاب :

لقد ربط المؤلف معالجته لقصة آدم برأى له فى بلدة (المهديّة) . وهى
مدينة على الشاطئ الشرقى التونسى ، وهى مركز سهل أرضى شاسع
جداً ، فعمق البحر فى شرقها لا يبلغ مائة متر ، على بعد مائة وخمسين
كيلو متراً ، وفى غربها لا يبلغ ارتفاع الأرض مائتى متر على مسافة مائة
كيلومتر ، وقد ذكر المؤلف وصفاً تفصيلياً للمهديّة يرشحها لتكون منشأ
الحياة البشرية منذ ملايين السنين (ص ١٢) ، ثم ذكر فى نفس
الصفحة أنه (بعد أن انفرض البشر خلق الله آدم فى الجنة ، ثم أنزله على
الأرض يحمل السبع المثاني ، وهو الرصيد الوراثى المادى ، وهو المقصود
من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٨٧)
[الحجر] .

والذى نلاحظه هنا أنه فصل بين آدم والبشر ، فوجود آدم كان بعد
انفراض البشر ، ولا ملاحظة لنا على ارتباط آدم بالسبع المثاني ، فغلب المؤلف
رأيه الذى يؤمن به .

ونذكر فى ص ٦٤ : أهم الموجات البشرية ، وهى أربع :

الأولى: من أربعة مليارات إلى مليار من السنين ، وهي فترة عاش خلالها بشر يسمى (بشر الجنوب) (الأسترالوبيثيك) ، ويمتاز بأنه أول من صنع الآلات الحجرية ، حين استطاع أن يحرك إبهامه في مواجهة الأصابع الأربعة ، خلافاً لغيره من الحيوانات ، فاستطاع القبض على الأشياء .

والثانية : من مليار إلى مائة وخمسين ألف سنة ، وعاش خلالها جيل البتكانثروب ، أو البشر القرد ، وكان منتصب القامة ، وهو البشر الواقف وهو الذي اهتدى إلى النار .

والثالثة : من مائة وخمسين إلى أربعين ألف سنة ، وقد عاش خلالها إنسان النياندرتال ، وهو بشر الشعور ، وفي نهاية عهده كان (آدم) الذي علمه الله الأسماء ، فهو يتصور الأشياء ، ويرمز لها بالكلام ، وتلك هي البداية الثقافية ، التي غرز الله مكوّناتها في لطرته ، وجعلها في خلاياه الوراثية .

والرابعة : من أربعين ألف سنة حتى الآن ، وقد عاش فيها الإنسان (الهوموسابينز) ، أو الإنسان العارف ، وهو الذي اهتدى إلى الكتابة .

ويسوق المؤلف حديثه بما يوحى بالتفاير بين الموجات الأربع ، وهو - كما سوف يلاحظ القارئ - مخالف لما أكدناه خلال بحثنا من أن المخلوق الذي أراد الله كان واحداً .. منذ قال الله سبحانه للملائكة : ﴿ إني خالق بشر من طين ﴾ إلى يوم الناس هذا ، وأن هذا البشر قد مر في مراحل من (التسوية ، وتنفخ الروح الإلهي) .. في مراحل متدرجة من حيث النضج ، وهو ما اختلفت به هويات الأجيال ، وكل ذلك في إطار

المرحلة البشرية إلى أن كان (آدم) أول الإنسان الأول ، الذي اصطفاه الله نبياً ، فكان أبا الإنسان - لا أبا البشر - كما سيأتي .

أما تقسيمات هذه المراحل أو الموجات فهو مما تختلف فيه آراء العلماء ، ومذاهبهم ، ولكل وجهة ..

هذا هو ملخص ما كتبه الأستاذ بشير التركي خاصاً بقصة آدم ، وبقيّة الكتاب بحث عن مناسبة بلدة (المهديّة) لتكون منشأ للخليفة منذ كانت .

وبعد ! فإن الموضوع خطير .. مثير ، وهو يحتاج إلى أن يقرأ بعز يد من الشامل والهدوء ، دون خضوع للأفكار المتوارثة ، والحكايات القديمة ، فأخطر شيء هو أن يقرأ المرء نصاً معيناً ، ثم يهب معترضاً في تلقائية بعيدة عن التفكير المتعمق ، فالغاية دائماً هي الوصول إلى ما هو حق ، وعقل .. إن شاء الله .

وإذا كانت كتابة هذا البحث قد استغرقت خمسة وعشرين عاماً ، أو تزيد ، فإن بضع ساعات تنفق في قراءته لا تكفي للنحاور معه ، ومناقشته ، للخروج من المأزق العقلي والثقافي الذي جرّتنا إليه الإسرائيليات .

إن هذا البحث قائم على ركيزة الآيات المنزلة ..

وهو لم يخرج قيد أنملة عن المعنى القرآني ..

وهو لا يتناقض في نتائجه مع أي حديث صحيح في السنة المحمدية .. أكان ذلك نصاً أم تأويلاً .

والهدف هو انتزاع العقل المسلم من برائن النقول الإسرائيلية المحشوة بالخرافات المنافية لكل ما هو عقل ، وعلم ، ونور .

مقدمة الطبعة الثانية

حين صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب (أبى آدم) أحدثت من الدوى ما يحدثه سقوط صخرة ضخمة فى بركة أسنة ، وانبعث من قلب البركة - أو المجتمع - أناس يتصدون للكتاب ، ولؤلفه ، ظانين أن يوسعهم أن يخفوا صوته ، ويخفوا أثره ، بالتشويه والتجريح ، وعلم الله أنهم لم يكونوا يملكون فكرا قادرا على استيعاب مضمون الكتاب ، بل لقد يصدق فى وصفهم ما ذكره المرحوم الكاتب الإسلامى مصطفى صادق الرافعى فى وصف بعض خصومه ، بأنه « يرى السماء الصافية فيظن أنها قبة من الزجاج ، وينظر إلى النجمة البادية فيرى أنها بيضة من بيض الدجاج » ، هكذا سمعنا خلال تلك الفترة جعجعة ، ولم نر طحنا ، وقد قذف وقع الصخرة فى البركة بعضهم إلى ساحات القضاء فى أربع زخات متواليات ، تولى كبرها رجل قانون ، ورجل دين : (قضيتان فى المحكمة الابتدائية ، وآخران أمام الاستئناف العادى والعالى ، فلم يلق الرجلان فى قضايهما سوى أحكام الرفض ، وكان سندنا المهم فى تلك المواجهة الشرسة - ذات الأهداف الخفية - تقرير مستنير أصدره مجمع البحوث الإسلامية (ربح منشور أيضا فى ملحق الكتاب) ، يقرر فيه المجمع أن الكتاب لا يحتوى على ما يخالف القرآن الكريم أو السنة النبوية ، ولا ينكر معلوما من الدين بالضرورة ، أو ثابتا من ثوابت العقيدة . وإنما هو اجتهدت توفرت شروحه فى مؤلف الكتاب ، والمجمع قد يختلف معه فى بعض النتائج التى توصل إليها . « أو كما قال » .

ف من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ﴿١٠٨﴾

[يونس]

و ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة] صدق الله العظيم .

د . عبد الصبور شاهين

٤ رمضان ١٤١٨ هـ

٢ من يناير ١٩٩٨ م

لقد حفظت الاحكام القضائية الصادرة بشأن الكتاب - للعلم كرامته ، وللاجتهاد حرمة ، وللإسلام قدسيته ، وعادت الكائنات التي انبعثت من قلب البركة الأسنة إلى قاعها في انتظار صخرة أخرى .

أما الكتاب فقد كان صخرة أردت بها أن أدق رأس الأفعى الإسرائيلية اللابدة في الثقافة الإسلامية القديمة ، ممثلة فيما سمي بالإسرائيليات ، وهي لا تعدو أن تكون أساطير خرافية تسلت إلى الفكر الإسلامي ، وإلى عقل الإنسان المسلم ، فاعتمدها أئمة من أهل التفسير ، ومن خلال تلك التفاسير سكنت في منطقة المسلمات من العقل المسلم ، وهي في الواقع أفعى إسرائيلية اعتنقها كثير من الرجال ، ممن لم يعملوا عقولهم في تحليل نصوص القرآن ، وممن لم يشعروا بالصدمة حين اتضحت من الأرقام المسافة الزمنية الهائلة بين معطيات الخرافة ، وتقديرات العلم لآمد ما قبل التاريخ .. وأبعاد الحياة البشرية .. لقد خنقت الأفعى أفعالهم حين طوقت أعناقهم .

وقد يلاحظ في ضوء الأرقام اختلاف العلماء في تقديرها ، وهو اختلاف يعني أن الأزمنة السابقة التي بدأت خلالها أحداث الخلق ، سواء في ذلك خلق الأرض ، أو خلق الحياة بأنواعها عليها - يستحيل تقديرها على وجه التحديد واليقين ، وإنما تستخدم الأرقام للتعبير عن المدى الهائل الذي يعجز الإنسان عن الإحاطة به ، أو إدراك مداه .. قدالاتها في كل حال ظانية !!

إن هناك علماء مفتونين بالأرقام ، يطلقونها على سبيل التحديد ، فيقولون منها (مثلاً) إن الأرض خلقت منذ كذا .. لا منذ كذا ، وبلغ الأمر ببعضهم أن وصف السابقين عليه بأنهم جهال ، ومزيفون وبأن تقديره

هو الأدق !! .. ويحار المرء في مناقشة مثل هذا الموقف الذي لا يحتوى دليلاً واحداً على صدق مضمونه ، ولكنها فتنة الأرقام الجيولوجية ، والواقع أن المسألة وجهين تستخدم بهما :

الوجه الأول : حين تستخدم الأرقام في مجال الدلالة الجيولوجية أو الأنثروبولوجية ، فاختلاف الأرقام هنا ذو دلالة على مفهوم محدد تقريباً بأنه (قبل مرحلة كذا أو بعد تلك المرحلة) واختلاف تقديرات العلماء هنا ، مع كونها تقريبية ، ذو قيمة علمية تؤثر في النتائج الواقعية .

والثاني : وهو ما نحن بصدده - لا يقصد منه تحديد زمن معين ، بل يراد به إفادة مطلق البعد في الزمان الأزلي . وحينئذ لا يهم أن يقال : حدث هذا (مثلاً) منذ مائة مليون سنة ، أو مائتي مليون ، أو مليار ، لأن المراد هو إفادة البعد الزمني المطلق ، ولن يقصد به أن شيئاً ما خلق قبل آخر أو بعده ، فعلم ذلك وغيره عند الله وحده .

والوجه الأول خاص بالمؤلفات المتخصصة في البحث عن آمد الكون وأبعاده واختلاف تقديراتها وهو وارد بناء على اختلاف منطلقاتها البحثية .

أما الوجه الثاني فهو يفيد فائدة عامة فقط ، وليس يُطلب من الباحث تتبع اختلافات العلماء في هذا الصدد أو استخدامها لاستخراج نتيجة تاريخية أو أدبية ، فشقان ما بين المجالين ، والخلط بينهما لا يعبر عن ذكاء ، بل عن غباء .

ولابد أن نلفت أماننا الآن . فنحن في مواجهة غارة إسرائيلية تحاول استخدام كل الوسائل لتخريب العقل المسلم المعاصر ، وهي لا تكلف عن

ترديد الأساطير في محاولة لرعدة يقيننا بأنفسنا ويكفى أن نقف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق مداحم بيجير - أمام لأهرامات الشمحة ، ليردد بصوت عال مرعته الإسرائيلية بأن أجداده من بني إسرائيل هم الذين سوا هذه لأثر الحالة ، وهي عملية عتصب هاجرة يريد بها تجريد الأحياء المصرية من كل ميزة أو نصية ، هذا على أرفع من أن مداحم بيجير وكل من تجمعوا في فلسطين تحت شعار الصهيونية ، لا يمكنون دليلاً واحداً على ما يزعمونه بخاراً لبني إسرائيل في مصر ، بل وأكثر من هذا لا يملكون دليلاً واحداً على تصار بينهم بإسرائيل ، أو بني إسرائيل ، فهم مجرد للمة تدرت في اعلم بل عشرات لقرون وجمعت في شكل مجموعات من لشاذ لتحقيق خطة استعمارية ، هي صرب الإسلام بواسطة هذه الجيوش المرتدة

والعجيب أنهم يسطرون على التراث الإسلامي ، ليؤلفوا ملحمة إسرائيلية تتكامل مع العهد القديم ، ليبسوا لأنفسهم وجوداً ثقافياً مبرراً في العقل المسلم وتاريخه وهذا هو شأن الغارة الإسرائيلية المستوطنة لأن في فلسطين ، تحاور بما تفسر من عمار لاقتراء والاكساب والإسرائيليات أن تلهينا عن مرارة وقعب الذي يسعى أن يحتشد لمقاومته بكل ما يملك من قوة وعزم وإصرار ، وأن نرفض كل دعاوى لسلام الرفقة التي ليست سوى وسائل يصحكون بها علينا وقد بين لنا أن السلام الذي تعبى إسرائيل ومن وراءه من أميركا وأوروبا ، هو عبارة عن هدنة بين حربيين أولاهما سبقت وثانيه تية لا ريب فيها

بل إننا نرى براء عينا أن نحاهد تلك الغارة الإسرائيلية على قبة النابا

العربي - في فلسطين ، نحاهدها مادياً وأدبياً ، نحاهدها استيطاناً ، واحتلالاً وتأثيراً فكرياً وإعلامياً ، وسياسياً واقتصادياً لا بد أن نقضى على هؤلاء الغزاة قبل أن يقصوا علينا فقد جاءوا إلى بلادنا قاتلين أو مقتولين وسنكون نحن قاتليهم ، وسيكونون هم المقتولين - بعشيئة الله حتى نسوقهم إلى حصير جهنم

لقد أبتلى العقل المسلم المعاصر من قبل مدرسين لهما وحوار على الساحة ، ولهما ضجيج مرعج ، وقد آن أوان إحماء هذا الضجيج

أما أولاهما فهي المدرسة الحرافية التي تنسى الحكايات والإسرائيليات ، وأما الثانيه فهي المدرسة الحرفية والتي تنسب سائور ، حتى ولو كان حرافياً وهي المدرسة التي ترفع السيف في وجه أي اجتهاد ، تدعوى الخروج على قواعد اللعبة السفية ، والسفية براء من كل أشكال الأساطير والحرافات

ولا مباح - إذا أردت للإسلام أن يتسوا مكانة في عالم انقد - أن يتم انقضاء على هاتين المدرستين وآثارهما ، فهناك حاف بين الحرفيين والحرفيين ، هو الذي يعوق حركة الاجتهاد الإسلامي المعاصر ، بإشاعة الخوف في نفوس أصحاب الرأي والاجتهاد وكثيراً ما احتفت آراء قيمه بإشاعة هذا الرعب مع أن الإسلام شجع على الاجتهاد ويعد كل مصنف بالأحر - ما دام لا يحالف شت من ثوابت العقيدة ، وما دام لا ينكر معلوماً من الدين بالصورة فليجهد وليذهب الحرافية والحرفية إلى حيث أفت رحلها أم فشمع

وهذا هو الهدم الجوهري من إصدار هذا الكتاب



ولقد حقق صدوره نتيجة قسيمة حين نشط بعض الكتبيين للرد عليه ،
وكتبوا مقالات ، وهو أثر حميد من آثار الكتاب ، فلو لم يصدر لما كتبوا -
فليحمدوا الله على نعمة ظهوره .

أما مؤلف هذا الكتاب فإنه يحمد ربه على كل صراء وعلى كل سراء ،
وقد مصت في حياتي أزمات كثيرة ، قد نتفوق في قساوتها على ما أثاره
(أبي آدم) ، ومع ذلك فقد مرت كل الأزمات - بحمد الله - وكانها سمعت
القدر وبسمات اترضوان

د. عبد الصبور شاهين

القصة بين العقل والنقل

الفصل الأول

القصة والاسرائيليات

قصة الخلق - كما أوردها القرآن الكريم - مبنية بالكثير من الأسرار الخفية ، والمعاني الظاهرة ، وقد تدولها المفسرون والمنصفون من زاوية أو أخرى ، وتشابهت محاولات القدماء ، حين أخذ بعضهم عن بعض ، وحين جاء العصر الحديث بمعطياته الكثيرة في مجالات علم الأرض (الجيولوجيا) والإنسان (الأنثروبولوجيا) وعوم الحياة ، والأحياء (البيولوجيا) وتغيرها - تغيرت مفاهيم كثيرة ، وصار لزماً على من يتصدى لكتابة شيء عن هذه القصة أن يأخذ في اعتباره ما كشف عنه العلم الحديث من حقائق نسبية ، وما قال به من نظريات ، حتى لا يبدو متخلفاً عن موكب المعرفة المعاصرة . وذلك على الرغم من أن الذين حاولوا الكتابة في هذه القصة حديثاً تعاملوا معها من منطلق المسلمات القديمة ، أو بمنطق الالتماس والتوفيق العذر

إن هذه القصة كما وردت في القرآن الكريم نحتل الكثير من التأويلات ، وهي حافلة بالإيماءات والإشارات ذات الدلالة التاريخية والزمنية ، ونحن هنا نستخدم المصطلح (التاريخ) بالمعهوم العام ، الذي يشمل كل ما مضى من الزمان ، محدداً كن أو غير مسعد ، أي ، التاريخ وما قبل التاريخ ، منذ كان الزمان يأمر الله التكوين (كن) فكان ... ولا معقب .

إن يفسر القدماء إلى القصة قد تأثرت بالتصور الإسرائيلي لها ، وهو الوارد في سفر التكوين ، حيث يختزل الزمان كله إلى أقل من ثلاثة آلاف سنة تستغرق عشرين جيلاً هم المسافة بين آدم وإبراهيم ، وقد انقسمت سلسلة النسب إلى مجموعتين :

الأولى : بين آدم ونوح (وهي عشرة أجيال)

الثانية : بين نوح وإبراهيم (وهي عشرة أجيال أيضاً) .

مع ملاحظة أن سياق النص يوحى بأن الأجيال العشرة الأولى قد بدأت بسبب الطوفان ، ثم بدأت الإنسانية جيلاتها الثانية من سلالة نوح ، الأب الثاني لها ، من خلال أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث (ارجع إلى سفر التكوين - العهد القديم) . ومع ملاحظة أخرى هي أن العمر لدى عرشه آدم - مثلاً - يصل في تقدير العهد القديم إلى حدود الجيل التاسع تقريباً ، أي : قبل نوح بجيل واحد .

لسنا هنا بصدد مناقشة معلومات العهد القديم ونقدها ، فهي ذات طابع أسطوري غالباً ، ولا دليل على خطئها أو صوابها ، سواء في الأسماء أو في الأرقام ، وإن كانت إلى الإحالة وعدم التصديق أقرب .

ولكن الملاحظة أن أصحاب السير قد اعتبروها من قبيل المسلمات ، فكرونها دون أدنى مناقشة ، أو حتى توقف ، وهذا هو ابن هشام في سيرته يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، فيصل به إلى آدم عبر سلسلة العهد القديم ، فإذا بالنبي من الجيل الخمسين بعد آدم ، أي : من أمة من آدم إلى محمد - ثم إلى زماننا هذا - لا تزيد على سبعة آلاف عام ، هي كل ما مضى من عمر البشرية ، وهو تقدير لا يتغير مع

التقديرات القائمة على الرؤية العلمية ، التي تقرب ولا تحدد .

وحسبنا أن ننظر في تعليق محقق السيرة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد على ما ذكره ابن هشام من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (روى عن عروة بين الزبير أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل) ..

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : (إنه ينتسب إلى عدنان ، وما فوق ذلك لا ندري ما هو) ، وقد صحح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال - لما بلغ عدنان : (كذب السسابون) مرتين أو ثلاثاً .

وقد كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع الرجل نسب إلى آدم ، من قبل أن هذا كله من باب التفرص والظنون التي لا يمكن أن يوثق بها^(١) .

ويلف النظر في هذا التعليق الرواية عن ابن عباس (أن بين عدنان وإسماعيل ثلاثين أباً لا يعرفون) .. أي ثلاثين جيلاً ، تستغرق في المتوسط ثلاثة آلاف سنة على الأقل .

فإذا رجعنا إلى حساب التاريخ للمدة من إبراهيم حتى الآن وجدناها تقترب من أربعة آلاف سنة وهي مدة تختلف تماماً مع ظنون السابيين ، الأمر الذي يجعلنا لا نعول كثيراً على رواية الانساب ، ولا على مصادرهم الكتابية .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦

الفصل الثاني

النظرة العلمية

أما النظرة العلمية إلى هذه مسألة فإنها تضعنا في قفص تضيق فيه ،
تحتسب أبعاده بمئات الألف بل بمئات الملايين من النسخ ، وقد جاء في
موسوعة الثقافة العلمية (صفحة ١٧/١١٨) أسماء المؤلفين
الجيولوجية وأما هذا الرمنية ، وهي عصور مرت بكونك الألف ،
وتقسم إلى حقبة ، بحسب معيها السائدة - كما قررنا لعلماء

حقبة الحياة العتيقة .

حقبة ما قبل الكامبري	٧١,١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ سنة
حقبة الكامبري	٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة
حقبة الأوردوفيشي	٣٧٥,٠٠٠,٠٠٠ سنة
حقبة السيلوري	٣٣٥,٠٠٠,٠٠٠ سنة
حقبة الديفوني	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة
حقبة الكربوني	٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة
حقبة البرمي	٢٠٥,٠٠٠,٠٠٠ سنة

حقبة الحياة المتوسطة

حقبة الميوسين	١٧٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة
---------------	-----------------

حقبة الجوري	١٣٥,٠٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة الطاشيري	١٥,٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة الحياة الحديثة :		
حقبة الباليوسيني	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة الأيوسين	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة الأوليجوسين	٤٢,٠٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة الميوسين	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة البليوسين	٨,٠٠٠,٠٠٠	سنة
حقبة البلايستوسين	٥٠٠,٠٠٠	سنة

وكل هذه الحقبة يعتبر وجود الإنسان فيها عامضاً ، ويمكن أن نتصور وجوده في شكل مخلوق فطري (خام) كالحيوان يستخلص إدراكات شتى من الأحاسيس المختلطة التي لا تحصى^(١)

حقبة الحياة الأخيرة :

الدور الأخير ، دون تاريخ أو تقدير ، وهو دور انحسار الجليد . وقد شهد نباتات منزرعة ، وهي حقبة الإنسان الهوموسابينز أو الإنسان المفكر

ومن الواضح أنه طبقاً لهذه المعلومات أمام أزمان متطاولة تحسب كما نرى بعشرات المليارات من السنين ، فقد سأت حقبة الحياة العتيقة بمرحلة ما قبل العصر الكمبري ، أي منذ واحد وسبعين ملياراً وخمسة وعشرين مليوناً من لسنين ، فهو أطول العصر أو الحقبة وقدمها على الإطلاق في تقدير العلماء

(١) اللغة فندرين / ١٢

وبدأت حقبة الحياة المتوسطة بالعصر لطراياسي ، منذ مائة وسبعين مليوناً من السنين^(١)

وبدأت حقبة الحياة الحديثة مع بداية العصر الباليوسيني منذ ثمانين مليوناً من السنين ، وتأتي مرحلة حاسمة ضمن هذه الحقبة ، هي حقبة الحياة في العصر لبلايستوسيني ، وتقر بدايتها منذ خمسمائة ألف سنة ، طبقاً لمعلومات موسوعة الثقافة العلمية .

فإذا رجعنا إلى كتاب (صور من حياة ما قبل التاريخ) ، للمؤلفين الأستاذ الدكتور زغلول النجار ، ولأستاذ أحمد داود - وجدناه في (صفحة ١٤٦) يقرر أن فترات الجليد في عهد البلايستوسين دامت حوالي ستمائة ألف سنة ، في فترات ثلاث : مائة ألف ، ثم ثلثمائة ألف ، ثم مائتي ألف ، فصلت بعضها عن بعض فترات أخرى تميزت بانحسار الزحف الجليدي ، وعندما كان الجليد ينحصر من فوق سطح الأرض كانت تكسي بغطاء حصري مزدهر ، وهكذا .. وقد شهد ذلك العصر ظهور النباتات والغبابات ، كما ظهرت الحيوانات اللاقارية في البحار ، وانتشرت أنواع من الفواقر الأرضية

كما ظهرت بعض الحيوانات استعارية من الثدييات ، ومنها حيوان الرنة ، والثعلب القطبي ، وانتشر بقر البحر في الأنهار ، ومرحت الأسود والضباع في العايات وانتشرت الدببة في الكهوف ، وبعض الحيوانات المفترسة كذلك الغيل الضخم الذي يطلق عليه (الماموث) ، وحيوان الميخثريوم و لطنودور واسيناصورات ، وظهرت في ذلك العصر الغيبة

(١) من العلماء حاصري مر بها منهم مريون وكابور

والأحصنة والثيران بكثرة ، مع شيء من الاختلاف عما ظهر في حصة الباليوسين ، أى : منذ تسعين مليون سنة ، والحقبة التالية لها ، ومى (المبوسين) منذ خمسة وعشرين مليون سنة ، وهى الحقبة التى شهدت ظهور بعض أنواع من الطيور ، كالليجج وبداية طائر البطريق ، وطيور أبناء التى تشبه (أبو قردان) فى العصر الحديث وغيرها ، وانتشرت الحشرات ، والفزلان والزراف ، وبعض الكلاب والديبة ، والنسائيس والقردة ، وبعض الحيوانات المفترسة كالنمور ذوات الباب .. بر إن العلماء السوفيت عثروا على سمكة ضخمة متحجرة فى باطن الأرض ، عند مدينة خاركوف ، حددوا عمرها بأنه حوالى ثلاثين مليون سنة ، وغرابة الكشف أيضاً أن قشر السمكة مازال محتفظاً ببريقه .. كشفوا عنها أثناء حفر نفق سكة حديد ، وتم نقلها إلى المتحف العلمى لجامعة خاركوف .

كل ذلك وغيره سبق ظهور الإنسان ، وقد وجدت بقاياها فى لصخور القديمة ، وفيعان البحار ، والكتبان الرملية ، ويقول مؤلفا (صور من حياة ما قبل التاريخ) - صفحة ١٤٨ -

(وقبل المليون سنة تقريباً ، وجدت بقايا لكائنات شبيهة بالإنسان مثل جنس (أوسترالوبيشكس) . والذى وجدت بقاياها فى أفريقيا ، وانتشر لى عصر البلايستوسين المتوسط عبر معظم قارات العالم القديم .

وبعد ذلك وجدت بقايا ما يعرف بإنسان بكين ، وإنسان جاوة ، وإنسان هيدلبرج ، وإنسان نياندرتال ، وإنسان روديسيا ، وإنسان سوانكوب ويختار بعض العلماء من بين هؤلاء الأناسى إنسان هيدلبرج باعتباره الحقة الوسطى بين الإنسان الذى يتكلم والحيوانات التى تصيح . أما الإنسان النياندرتالى فظهر أنه كان ذا مبادئ فكرية من اللغة اسعومة) (١)

(١) اللغة - فندرسى - نهدير هيرى برچسور



بشر سابيان
من سنة وثلاثين ألف سنة



بشر نياندرتال
من ثلثة وعشرين ألف سنة



بشر يكمن
من اربعمئة ألف سنة إلى خمسمئة ألف سنة



بشر كنما
مليون وتسعمائة ألف سنة

وكل هؤلاء الاناسى وجوه مختلفة لمخلوق واحد ، كان ينتقل من مرحلة إلى مرحلة في تسوية الخالق له ، فكلما مضت مرحلة من استنوبه تغيرت بعض أوصافه ، وأقرده الباحثون في البيولوجيا والاثروبولوجيا بنسمة ، وقد وجدت تلك البقايا بصورة ناقصة وباندة ، مما يجعل معلوماتنا عن هذه المخلوقات الشبيهة بالإنسان بعيدة كل البعد عن الكمال

وأول كائن إنسى له المميزات التشريحية للإنسان المعاصر ، وه صفته من الذكاء ، والقدرة على التعبير عن نفسه هو (إنسان كرومانيون) والذي وجدت بقاياه في جنوب فرنسا ، في كهوف ترك آثاره على جدرانها رسوماً لبعض الحيوانات التي اصطادها ، ويتضح منها أن هذا المخلوق نشع بقدر من الذكاء يربطه بالإنسان العالى .

وأقدم بقايا لإنسان كرومانيون ترجع إلى حوالى ثلاثين ، إلى خمسة وثلاثين ألف سنة مضت ، وهذه الفترة تعتبر من أقدم فترات التاريخ لمسجل

هذه البماذج التي عثر عليها من بقايا الإنسان على الأرض تمتد كما رأينا منذ ما قبل مليون سنة ، وهي تؤرخ لمسيرة هذا المخلوق حتى عهد قدره ابعاء بخمسة وثلاثين ألف سنة

وقد نشرت جريدة الوفد^(١) فى (١٠ / ١٩٩٦) أن الإنسان الأول عاش أيضاً في جبل طارق في عدة كهوف عثر عليها هناك ، وأن ذلك كان منذ ما يعرب من ثلاثين ألف سنة

(١) قد مضى بعض الصحف اليومية موحداً نقل عنه بعض الاصطلاحات لا تتواءم مع موعده معتد في توثيقها ، ومع ذلك ففصل تذكره في إطاره حجر على الدلالة

١٠٠



بشر كرومانيون
من ثلاثي ألف سنة

ومع ذلك فقد نفلجاً بوجود أحافير تدل على أن ظهور إنسان كان
أقدم من هذا التقدير ، فما زالت الأرض محتوية على شئ من راحة على بدء
الخلق ، وكيفته ، ولن يبلغ الإنسان مبلغ الحقيقة إلا إذا دام على البحث ،
واستمر في السير تفتيشاً عن شواهد وأدلتها ، وهو ما أمرت به الآيات
الفراسية

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ .. » [العنكبوت]
وقوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذريات]

وكل ما سجله العلم من مراحل الحياة على الأرض هو ولا شك من
معييات البحث والسير فيها ، فهي خطوات في الطريق الصحيحة تهدى
الإنسان إلى أصله ومنشئه ، عبر تلك الأماد السحيقة لقد كانت تلك
الأماد - ولا شك - مقدمات لخلق الإنسان .. ﴿ فِي أَحْسَرِ نُفُوسِهِمْ ﴾ [النبي]
أي : إن خلق الإنسان كان إرادة سابقة أولاً على وجود الأرض
ذاتها ، قبل مليارات السنين ، ثم كانت الأرض ، وكان ما مر به من عهود
سحيقة يعجز العقل عن تصورها - هو التمهيد الإلهي لبهر لظهور
السلالات البشرية ، الذي تضمنت الأراء في توقيته ، ليس من هذه
العهد ما يعتبر حقيقة مطلقة .. بل هي جميعاً آراء سمية تتفق في لحد
الجهه ، بينها ، وتختلف في العهود والحقب ، ولا سير حتى الآن إلى
معرفة متى كانت بالضبط بداياتها ونهاياتها

والأمر دليل على نسبية المعلومات المدونة في المراجع العلمية حور
الأمس ، وعصر ظهوره على الأرض (قبل مليون سنة) - ما أعده
مؤرخ عند العلماء الأنثروبولوجيين ، من أن وجود الإنسان كان أسبق

كما سقناه قلا عن موسوعة الثقافة العلمية ، وعن كتاب (صور من حياة ما قبل التاريخ) وهو خبر لم ندهش له ، ونحن نؤمن بسببية الصدق في معطيات العلم الحديث ، وبخاصة في هذا المجال .

لقد نشرت جريدة الاهرام في عددها الصادر صباح الاربعاء (١٩٧٢/١١/٨) (أن السروفيسور ريتشارد ليكن أحد العلماء الاثروبولوجيا - علم الإنسان) .. أعلن في كينيا أنه تم اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام ، وتعد أقدم أثر من نوعه للإنسان الأول

وقال العالم : (إن هذه الاكتشاف يمتد في قدمه مليوناً ونصف مليون عام عن أقدم أثر أمكن العثور عليه حتى الآن ، وقد تم اكتشاف عظام الحمجمة ، مع عظام لساق بشرية ترجع إلى نفس الحقبة من التاريخ ، في جبل حجرى ، بصحراء تقع شرق بحيرة رودلف في كينيا)

وقال العالم : (إن هذا الأثر يمكن أن يقلب النظريات القائمة بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ ، وكيف ؟ ومتى ؟)

وقد قدم ريتشارد ليكن ، وهو مدير المتحف الوطنى في كينيا تقريراً عن اكتشافه إلى الجمعية الجغرافية الوطنية في واشنطن ، وقال (إن نظريات استصور الحالية - وعلى رأسها نظرية داروين - تفيد أن الإنسان تطور من مخلوق بدائى ، كانت له سمات بدنية شبيهة بسمات القرد ، وإن أقدم أثر للإنسان كمخلوق منتصب يسير على رجلين ، وله مخ كبير - يرجع إلى نحو مليون سنة)

هذا في حين أن الكشف الجديد يدور على أن المخلوق الإنسى المنتصب قد الساقى لم يتطور عن المخلوق البدائى الذى يشبه القرد ، بل كان يعاصره منذ ~~من~~ مليونين ونصف مليون عام ، وإنه يمكن على هذا الاعتبار استبعاد المخلوق البدائى الأول على أساس أن الإنسان فنحدر من سلالة

وذكرت الجمعية الجغرافية في تطبيق لها على هذا الكلام (أن نظريته ليكن تقوم على أساس أن المخلوق البدائى الأول و اسمه العسمى (أوسترالوثيكوس) وكان أساساً من أكلة النباتات ، قد وصل إلى مرحلة تطورية مسدودة ، بينما استطاع الإنسان الذى استخدم اللحم في غذائه وتمكن من صناعة لأدوات الحجرية - أن يبقى على قيد الحياة)

وأكد ليكن في تقريره (أنه أمكن إعادة بناء جمجمة من شظايا العظام ، التى عثر عليها ، وأنه بالرغم من أن هذه الجمجمة لا تشبه جماجم الجنس البشرى المعروف حالياً ، إلا أنها تختلف كذلك عن جميع أشكال الجماجم التى عثر عليها للإنسان الأول ، وذلك لا تتفق مع أى نظريات حالة عن تطور الإنسان)

وأصبح إذن أن الفرق الرمنى هائل بين هذا الرأى ، وما تقوله نظرية داروين كما أن الفرق هائل أيضاً في حوهر انتصور للإنسان الأول بين النظريتين - فهو عند داروين يمسى على أربع منذ مليون سنة ، ثم انصصت قامته - وعند ليكن يصشى منصص انقامة منذ مليونين ونصف مليون من السنين ، وأنه كذلك منذ كان

فإذا رجعنا إلى ما أورده المؤلف سيد أحمد انكيلاسي في كتابه عن

(نظرية داروين بين التأييد والمعارضة - صفحة ٢١) حين قال (وقد ادّاع البروفيسور جوهانس هورنر - العالم الدري في سميتبال بسويسرا - بياناً في مارس ١٩٥٦) نجد أنه عارض نظرية داروين بشدة ، وقال : (إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالة القرد ، وإن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة وهو يعيش منفرداً ، وبعبارة أخرى)

وأضاف إلى ذلك : (أن الهياكل التي درس عليها تؤكد نظريته وقد قدم البروفيسور المذكور للمتحف الطبيعي بمدينة بال قطعة من الفحم بداخلها قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين سنة ، وهذا هو التاريخ الذي أمكن الحصول فيه على هياكل آدمية)

وبتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٦ أعلن في أمريكا أن الدكتور (رويتر) المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا - قد أيد البروفيسور هورنر في وجهة نظره ، واعتبرت نظرية داروين بذلك رأياً لا يستند إلى أي دليل علمي ، وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع ، استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذي يمشي على رجله ، ومنها الدواب التي تمشي على أربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطونها

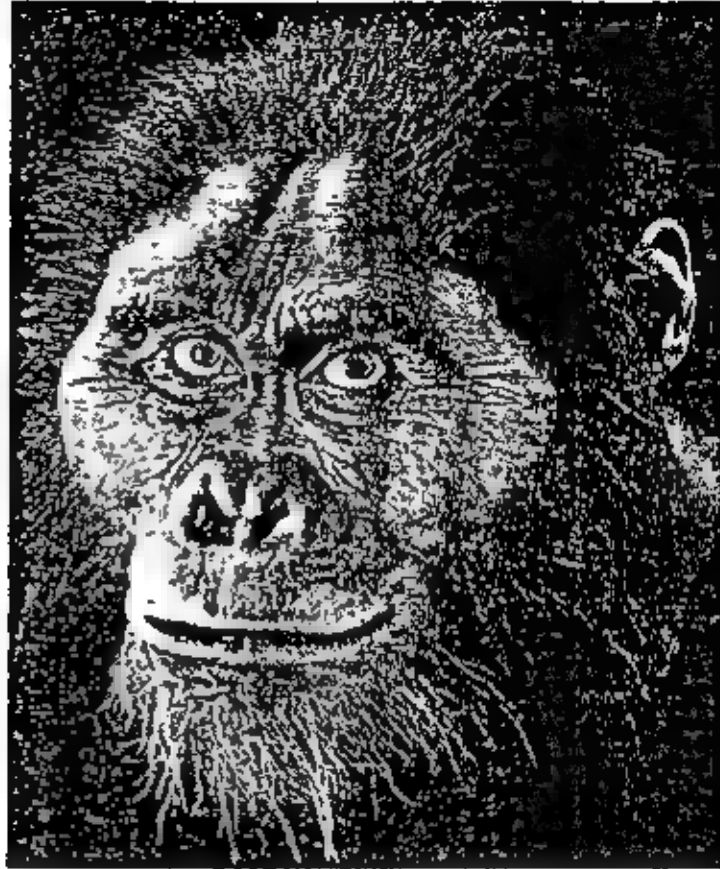
وإذا كان سياق الداروينية يقرر أن القردة خلقت هكذا مستقلة عن الأنواع الأخرى قبلها ، فما الذي يجعلها أصلاً لنوع الإنسان في فرصة داروين . على حين أن الأقرب إلى المطلق هو أن القدرة التي ضيقت نوع غرزة التي تمشي على أربع - قد خلقت نوعاً آخر يمشي منتصباً على رجلين ، وهو الإنسان ، وهي القدرة التي أوجدت ملايين الأنواع من مخلوقات المتحركة ، لكل نوع عالمه وقدراته ، وبدايته ونهايته ، فلكل

صادر عن قدرة مصنعه واحدة ، تماماً كما حدث القرد من : حدة الأصل ، واختلاف الشكل - غي قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ حَقُّ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . (٤٤) ﴾ [أنور]

نحن إذن أمام جبهة من النظريات المشتجرة والمتعارضة ، التي تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان ، وأصل هذا المخلوق . وهي كلها تؤكد نسبة المعلومات التي تضمنتها ، ولكل واحدة منها أدلتها التي تستند إليها في تقرير جوانب التصور الزمنية والخلقية ، ولا ريب أن في كل منها شيئاً من الحقيقة ، وأشياء من الخيال تصب في بحر انصلال ، حفاظاً على نسبة المعلومات والنظريات في دلالتها على جوهر الحقيقة الذي يتراوح حتى الآن ما بين مليون سنة ، وعشرة ملايين من السنين .

ومن أواخر ما نشرته جريدة الأهرام في هذا الشأن ، خلال شهر يونيو ١٩٩٦ ، ما تضمنه بحث علمي آخر في بريطانيا - قد يكون لبلاً آخر لهدم نظرية داروين القائلة بأن الإنسان أصله قرد ، أو منحدر من إحدى سلالات القردة العليا ، تحدى العلماء البريطانيون الرأي العلمي السائد بأن الإنسان الأول كان يمشي معتمداً على يديه ورجليه ، مثل الشمبانزي

وقال العلماء في جامعة ليفربول البريطانية (إن الرأي الأرجح هو أن الإنسان الأول كان يسير منتصباً إقامة ، تماماً مثل الإنسان اليوم ، وأوضحوا أنه لو كان الإنسان القديم يسير منحنيًا - كما تصور ذلك بعض النظريات العلمية - فإنه لم يكن من الممكن أن يمشي في قامته ، ويسير كما هو الآن)



نوسى - حضمت النظرية الداروينية

٢٢ هيدون سده

وأشار العلماء إلى أنهم أخذوا أحجام الإنسان القديم ومقاساته من هيكل كائن شبيه بالإنسان ، وهو المعروف باسم (لوسى) ، والذي عثر عليه في أثيوبيا . ويرجع إلى ثلاثة ملايين عام مضت ، ثم استخدموا الكمبيوتر في تطوير إنسان آلي صناعي (روبوت) لكي يكون نموذجاً لكيفية تحرك (لوسى) . وأوضح العلماء أن التجارب أثبتت أن (لوسى) - وهي ألى - لم تكن لتتطور وتمشى منتصبه اقامة بعد ذلك ، وقال الدكتور روبن كرميتون ، أحد المشاركين في البحث : إن ذلك يعني أن النظريات العلمية التي تظهر الإنسان القديم يمشى في وضع مُنْحَن في حاجة إلى إعادة كتابة ، وأشار إلى أنه ما إن بدأ الإنسان يقف على قدمين ، فإنه كانت هناك ضغوط قوية لكي يسير ويقف منتصباً .

وأوضح أن امشى بشكل منتصب يساعد الإنسان على التنفس بشكل جيد . ومشيراً إلى أن قرود الشمبانزى عندما تمشى متعنية فإنها تسير لوقت قصير للغاية ، لأن هذا الوضع لا يساعدها على التنفس الصحيح .. بل يصيبها بالإجهاد ، وقال : إن هذه القرود بعد خمسين خطوة فقط من المشى في انحناء تسارع بالجري بعكس الإنسان القديم الذي يظهر علم الآثار أنه كان يمشى لأكثر من مائتي كيلومتر ، وهذه المسافة لا يمكن أن تتم وهو في حالة انحناء .

وهذا الرأي ينشئ في تقديره الزمنى تقريبا مع تقدير البروفيسور ليكى بناء على جمجمة كينيا ، غير أن مرتكز الاستدلال لم يكن البحث في عمر الأحفورة ، بل قام على مناقشة القدرة على المشى منتصباً أو منحنيًا لدى القردة والإنسان ، كما نصح في انجاية إلى وفص نظرية داروين ، بأسلوب التقنية المعاصرة .

ونفى عن البيان أن كل الجهود العلمية حتى لأر تصب على معارضة داروين فيما دافع إليه ، وأن ما قدمناه لم يكن سوى بعض المعسات التي جهد فيها العلماء ليدحضوا مذهب الشواء والارتقاء حتى إننا نستطيع أن نقول ، إن نظرية داروين قد صارت لكثرة ما تعرضت له من نقد مجرد مقولة هشة .. لا تعنى شيئاً في مجال البحث عن أصل الإنسان وإن قدمت الكثير في مجال (البيولوجيا) أو علم الأحياء

وتبقى حقيقة واحدة ، نكررها دائماً ، هي نسبة التقديرات العلمية التي حاولت التأريخ لبداية وجود الإنسان على الأرض في أى شكل من أشكال لوجود

لقد سقطت إذن فكرة (التطور الخالق) ، ونقول (فكرة) ، ولا نقول : (نظرية) ، ورغم أن الناس قد فتنوا بهذا النظرية بعدة عقود من الزمن ... سقطت بكل ما ارتبط بها من أفكار أخرى ، وانتصرت حقيقة (الخلق المستقل) التي قررها الدين ، كما أكدها العلم ، فما كن الإنسان إلا بشراً من كل ، وما كن الفرد إلا قرناً ، وما كنت لسمة إلا سمة من عامها المائى ، وكل ذلك لم يكن إلا طبقاً للعشيرة الإلهية المطلقة وإجازاً للقدرة الكُتبية^(١)

وهنا يطرح سؤال ، ربما يبدو سابقاً لأوانه في سياق هذا البحث ، وهو هل كان وجود هذه الخلقة البشرية بإرادة الهمة وأمرأ ليساً واحداً على الأرض ، أرادته القدرة الإلهية ، وسعته في مراحمه منصوبة ، أو كان حقاً متعدداً منفصراً على عدة أصناف غير بوجوده على الأرض

نصفه نقل من كتابه ... من مؤلفه ...

وكان آدم أحد هذه المراحل .

لكم هو ما سنحاول بيانه فيما يلي من الحديث .

غير أنه يصرر هنا رأياً يراودنا ، ونحن نخوض هذا اليم ، أو الخضم من المعلومات والتقديرات المتراوحة بين سبعة آلاف سنة ، وعشرة ملايين من السنين ، والذي نريد أن نقوله إجمالاً هو أن الخالق العظيم خلق هذا الكون اسهائلاً حين قال : (كن) فكان .

أجر . كن ما كان ويكون وسيكون .. كن الماضي والحال والمستقبل ، كانت الدنيا بكل مكوناتها ، وكانت الآخرة بجنتها ونارها وحلوقها ، وما يتضمنه ذلك من بعث وحشر وحساب .

كن كل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، في إطار من الزمان المطلق ، والمشيئة المطلقة ، والاكتشاف المطلق ، فليس - بالنسبة إلى الخالق - قيود من الزمان ، أو المكان ، أو أية عوامل أخرى ، أم الإنسان فهو نقطة في بحر الحقيقة .. نقطة مسكومة بالزمان والمكان ، وحدود الإدراك - كما أراده الله .

وقد خلق الله هذا الإنسان ليكون سيداً في اكون انفسيح ، الذي يتزايد ضخامة و تساعاً أو امتداداً ، دون توقف .. بأسرع من سرعة الضوء

ثم جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الكون نهاية ، كما أن له بداية ، وحين تحير هذه النهاية سوف تتغير معالم الكون كله كما قال سبحانه ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) وإذا البحال سيرت (٣) وإذا العشار عطلت (٤) وإذا الوحوش حشرت (٥) وإذا البحار سحرت (٦) وإذا النفوس روحت (٧) وإذا الموعودة سئلت (٨) ﴿ التكميل ﴾ . وقال تعالى

﴿يَوْمَ تُدَلُّ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ..﴾ (١٨) [إبراهيم] . هل يعقر أن يكون هذا الملك والملكوت من أجل خليقة لا تدوم أكثر من عشرة آلاف سنة" أو بتعبير أدق : لا تدوم أكثر من عشرة أيام - بحساب الزمان الإلهي الذي يقدر : ﴿وَأَنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١٧) [الحج] .. إلخ . !!

وهب أن ذلك الزمان امتد إلى مليون سنة ، أو حتى عشرة ملايين ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون بضعة آلاف من الأيام الإلهية .. والله المثل الأعلى .

إن ملك الله عظيم ...

وإن شأن الله أعظم ...

ولهذا الإله - تقدست أسمائه ، وتعظمت آلاؤه - سجدت الأجساد ، والأرواح ، وعبث الوجوه والعقول ، ﴿وَحُشِّعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٩) [طه] . ومن أجل هذا كان موعد النهاية سرا مكتونا لا يعلمه إلا هو . إنه موعد الزلزال الكوني الذي يضع النهاية لرحلة "الأيام السنين .." ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (٢٠) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (٢١) [المرج] . خفى أن مراد هنا قول الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) [الحج]

الإنسان بين العلم والقرآن

مرة أخرى نكرر ، ولا نمل التكرار :

لا بد أن نسلم بأن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة في أغلب الأحيان بل هي رؤى نسبية ، من حيث إن العقل الذي يتوصل إليها مرئيه بقيود من البيئة ، والزمان ، والقدرات الذاتية ، والدلائل المتاحة .. إلخ .

أما القرآن ، وهو الكلمة الإلهية النهائية في الخطاب ما بين السماء والأرض ، أو ما بين الأعلى والأدنى - فإنه ولا شك يقدم للعقل الإنساني الحقائق النهائية في الموضوع . ولكن الأجيال تتفاوت في فهم النص المقدس ، حتى يبدو ما استخرجه الفكر الديني .. حتى الآن من النصوص - مناقضا للعلم . ولا سبيل إلى تحقيق اللقاء بينهما .

ونحن - بادئ بدء - مقرر أن التناقض بين القرآن ، وما توصل إليه العلم من حقائق نهائية - مستحيل . وإنما يأتي التناقض من جهة أن العلم لم يستقر بعد على بر الحقيقة الكاملة . بل ما زال يدور في طفر النظريات الظنية الدالة ، إلى جانب أن التناقض قد بدأ . عفا التفكير الذي تنقسم به معالجة الأفكار

ولسنا - مثلاً - إلى الجمود الذي ان عند القول بالبداية الأدمية للحياة ، حدود عشرة آلاف عام . وهو تقدير الحياة الإنسانية تراوحت ما بين
السنين

أى نور شاسع بين التقديرين ؟ وهل من سبيل إلى لقاء بينهما ؟

نحن نرى أن ذلك ممكن من خلال فهم واسع للنصوص لقراءة فهم يخرج عن المذهب التقليدي الذي التزم به التفسير كله . ويسعى إلى استنطاق النظم القرآنى ما دام هناك إمكان لالتقاء العلم بالقرآن

ولسوف نحاول السير مع القرآن فى حديثه عن الإنسان والخلق عند الآيات الأولى التى استهل بها الوحي الموحى . وسير مع هذا الوحي إلى شاطئ الحقيقة القرآنية

نكن - قبل أن نشرع فى هذا العرص نجد أن تقدم نوعاً من الأحافير ، أو الأعاجيب التى أشارت إليها المراجع العربية - وهى ذات دلالة ومعنى يخدم سعينا لتحقيق إمكان اللقاء بين العلم والقرآن . وإن عث عليها صريح البالغات واسلوب الأساطير

الفصل الثالث

نظرة القدماء إلى وجود الخليفة

د. كان علماء اسلف قد اتفق جمهورهم على أن آدم هو أول الخليفة ، وأول ما خلق من تراب . هل بعضهم قد ذهب إلى ما هو بعد من ذلك فتصوروا الهدد اسطقية وجوداً ممتداً فى أعماق الزمان ، فمن آدم رجع إلى ملايين اسسسين ، والمهم أن أحداً ممن قد جهد المذهب لم يلق بكيراً من غريق الآخر . بل عاشت الآراء المتنافسة جنب إلى جنب ، حتى تلقيناها ورأينا كيف دار الله بصيرة الأقدمين فاستدت رؤيتهم إلى أعماق العيب فنس لتاريخ على هذه الأرض ، وتوعدت رؤيتهم تبعاً لاختلاف التحيلات وما بحسب أنهم عتمدوا على شواهد مادية . بل هى محض تحيلات هدامم إليها تأمهم انطقى فى أحوار الدنيا (ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الأرض قبل آدم ثمانياً وعشرين أمة على خلق مختلفة ، وهى أسواع

منها نوات الأحصنة وكلامهم قرفعة

❧

ومنها ما به أسدر كلاسور ورؤوس

وكلامهم روى

ومنها ما له وجه واحد من

❧

كثيرة

ومنها ما يشبه نصف الإنسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح
العرائق

ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة ، وعلى رأسه قرن
وكلامهم مثل عوى الكلاب

ومنها ما له شعر أبيض ، ودب كالبقرة

ومنها ما له أنياب بارزة كالصنجر ، ودان طوال

ويقال إن هذه الأمم تماكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين
أمة (مستطرف ٢٩٨)

هذه صورة من تفكير الأقدمين أو تحيلاتهم عن الماضى السحيق قبل
هذه الحقيقة فقد انعكسوا أشكالا من المخلوقات لا دليل على أنها وجدت إلا
فى الاحتمال الخيالى ، ومع ذلك تبقى - بعد استبعاد ما لا دليل عليه من
الأشكال - أن الأرض كانت معمورة قبل آدم ، سواء تمثل تلك الأصناف
أو بأصناف أخرى كالديناصورات ، أو الماموث أو باوادم آخرين قبل آدم
- أنبيا - على ما قدره بعض العنماء أى إن آدم لم يكن أول مخلوق
عقل على هذه الأرض

ومن المؤكد أن أمما كثيرة من المخلوقات كانت موجودة قبل ظهور
الإنسان كأمم الطير ، والحيوان ، والنبات وفى كلها أمم بنص الآية
الكريمة ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
ما فرطنا فى الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام ٢١] وإذا كان العصر صريحا

١ العدموتى طاهر مسمى أمم طيور أساو جميل المنظر به قذعة يسمي النور
والجسم عديمين

فى دواب الأرض والصور - من الديات فى نظر العنماء كدب نام -
اختلاف أشكاله وخصائله ، والآية الكريمة تشير إلى حقيقة مذهلة
بأنى فصلتها ﴿ ثم إني إليهم يحشرون ﴾ [الأنعام] ، وهى دس دس
من المناقشات حفلت بها كتب التفسير

أما عن اهتمام العلماء بالتفتيش أو ملاحظة ما يحدث من صفة
الأرض ومتابعة آثار الأحياء فيها ، واستدلالهم بشواهدها على
الحياة البشرية وعبودها السحيقة - فذلك أمرهم تتوافر أدواته للأقدمين
ولا تهيات أسبابه إلا فى عصرنا الحديث مع تطور علوم الأ
(الجيولوجيا) والإنسان (الأثرولوجيا) ، والأساطير (الميتولوجيا)
والتحليلات الكروية وغيره

ولكن كان للأقدمين فكرة عن الإنسان القديم ولم تكن أفكارهم
فى تقدير تاريخ الحياة على الأرض إني أبعد من حديث القرآن
ونوح وعاد وشمود وقوم إبراهيم وقوم لوط الخ
وهذه عجز قريفة سبباً كما سبق أن قررنا وهى لم تتحور
لف عام وهم معدودون قطعاً فيما ذهبوا إليه

وقد اعتمد بعضهم على مشاهداته لقمع م
عظمية ، حاولو تفسيره ووصفها بقدر ما رآه
حياة الماصيين وأوصاف هيئاتهم الجسمية
الذى نصفه الأحافير التى عثر عليها العلم
الأحافير التى وصفها السلف - وحدث الأ
فى عهده لسحيقة لكن مشكلة أن شد

الآن ونحن نصح أنه واحد ، فهو وجود مقيرون بالمبالغة والترديد حتى
حجبت الحقيقة ، وصعدت معالمها صراعاً يهائلاً

ونذكر غيبة من هذه الآثار يذكر مؤلف كتاب (المستطرف في كل
بن مستطرف) (قس الشيخ عبد الله صاحب كتاب بحف الإلهام
وحلب أي باشقرد ، قرأيت قبور عدد هجودت سن حرم طونه أربعة
أشمار وعرضه شمران ، وكان عسدي في باشقرد نصف سنة أخرجت لي
من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثانية شمرين ورربا ألف ومائة
مقار وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعاً وطول عظم عضد
أحدهم ثمانية أرس وعرض كل صلب من أصلاهم ثلاث شمار كلوح
الرحام)

وقد يكون هذا الوصف من باب المبالغة المسرعة لأن مشاهدة
المومناوات المتحفية أنى مصى عليها خمسة آلاف سنة مثلاً - نبيز لنا أن
حجم الأساس كان بنفس الحجم الحالي دور نسي علاقته بما يصفه
اشمخ عبد الله في كتابه المشر إليه ، ولذلك يبدو لنا أن حيان بوراً في
تصميم حجم ما يرغم رؤيته من بقايا قوم عاد وربما كان ذلك من باب
(الحوادث) التي جاء منها أنور وأشكال في كتاب (ابن لينة وحبة)
وإنه كان ما وحدوه بهذا الوصف بقايا حيوان هائل كالديناصور
مثلاً أو الأفيال ضخمة التي تقاس أسننها بالشار ورغم لرصف
به يصف أسنناً من قوم عاد

وذكر اشمخ فيقول (ولقد رأيت في كعب سبعة ثلاثين
وجه سبعة - سس عاد رجلاً طويلاً طوله أكثر من سبعة وعشرين
ذراعاً شان يسمى بفي أو بفي وكان بأحد الفرس تحت بعه كما نادر

ابود انصير ، وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ، ويقطع حله
وأعصاه كع يقطع دقة سقر ، وكان صاحب بلغار قد تحذله ذراعاً
تحمس على عجلة ، وبصة عادية لرأسه - كأنهما قطعة من جبل وكان
يأخذ في يده شجرة من السود كأنه لو ضرب بها الفيل لقتله وكان
حثيراً متواضعاً ، كان إذا بقيى يسلم على ويرحب ، ويكرمى وكان
رأسى لا يصل إلى ركبتيه ، رحمة الله عليه ، ولم يكن في بلغار حمام
يمكنه دخولها إلا حمام واحد ، وكنت به أخت على طوله ، ورأيتها مرات
في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن العمان إن هذه المرأة
لعادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم ، وكان أقوى أهل بلغار قيل (إنها
صمته إنهم فكسرت أصلاعه ، فمات من ساعته) (المستطرف ٢٩٨)

وقد تأثرت آراء لأقدمين من العلماء بما ورد في العهد القديم من
استطير عن الإنس القديم ولا سيما قصة عوج بن عتق وهي أحد
معدن لحياة القديمة أنى كانوا يتسللون يذرايتها ، وقد كان المستمعون
يهررون بتفاصيلها ويتصورون أنها تعبر عن واقع شهته الأحيين
لقديمة

(روى عن وهب بن منبه في عوج بن عتق أنه كان من حسن لباس
وأجسمهم ، إلا أنه كان لا يوصف طوله ، قيل إنه كان بخصر في
الطوفان فلم يذبح ركبتيه ويقال إن الطوفان علا على رؤوس البحار
أربعين ذراعاً ، وكان بخار المدينة فيتجطأ كما سجد - حدكم بدول
الصغير وعمره به ذراعاً طويلاً حتى أترك موسى ع
حداً في أفعاله سسر في لأرض نرا وحرأ وبعد
به ما حصرت به سرائير في أسبه ذهب فأتى

الفصل الرابع

حدث القرآن

حديثنا أن تذكر السرر القرآنية التي تعرضت بقصصه الخلق ، وما يتصل بها ، مرتبة حسب النزول لتتبع من خلال هذا الترتيب تدفع معاني الوحي القرآني ، ومنهج في سوق الأحداث و لحقائق ، كما أراد الله للإنسان أن يتعلمها ، وقد جاء الترتيب هكذا

رقم السورة حسب النزول	اسم السورة	ملاحظات
١	العلق	الإشارة الأولى للإنسان
٤	المدثر	الإشارة الأولى للبشر
٧	الاعلى	﴿ الذي حق فسوى ﴾ (لأول مرة)
٢٧	النبي	إشارة عامة لحق لإنسان ﴿ لي أحسن تقويم ﴾
٣٠	القيامة	إشارة إلى الإنثى - نطفة من ﴿ منى يمنى ﴾ ثم كل عفة خلق فسوى ﴿
٣٢	المرسلات	إشارة إلى إماء أمهين ، والقرار الحكيم
٣٣	ق	إشارة إلى حضور الله في خلقه

تدبرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم ، مبعث الله طيراً في منقاره حجر مدور ، فوضعه على الحجر الذي على رأسه ، فاشتد من وسطه وانحرق في عنقه ، وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج إليه وضربه بعصا فقتله ، ويقال إن موسى عليه السلام كان طول عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ، وقفز في انبواء عشرة أذرع وضربه فم يصل إلى عرقبه . فتبارك الله أحسن الخالقين) .

والعجيب أن يزعم راوي الأسطورة أن عوجاً عاش - وهو الحفيد لآدم - حتى عهد موسى ، أي أكثر من سبعة آلاف سنة ٩٩

وتسمى الأسطورة مثلكي عن عنق أم عوج فتقوم (عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام ٩٩) . وكانت مفردة بعير أح ، وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان ، وفي كل يد عشرة أصابع ، ولكل أصبع ظفران كالسجلين) ، وقال على ابن أبي طالب (هي أول من لمس في الأرض ، وعمل العجور ، وحاصر بالمعاصي ، واستخدم الشياطين وصرّهم في وجوه السحر فارسل الله عليها أسداً أعظم من الفيل فهم عليها وقتلها ، وذلك بعد ولادة عوج سنتين)

إنما لم تأت بكل ما قيل عن عنق وولدها عوج ، وقد أحصرد شيئاً من أخبارهم لكي تظهر ما بلغته الأساطير من السسطة على عقول الناس قديماً . وحين تأتي الأساطير في كتاب مقدس مثل التوراة - فإنها تستند بعقول الأساطير ، وتحجب عن أنصارهم بصبر العقل ، ولو ما عرفت فيه عقول كثيرين طوال قرون عديدة

رقم السورة حسب النزول	اسم السورة	ملاحظات
٣٥	الطارق	إشارة إلى مادة الحلق في الصب والثرائب والماء الدافق الذي يخرج من بينهما
٢٧	ص	قصة الحلق والملائكة وبليس سمرة الأولى (دور لذكر آدم)
٢٨	الأعراف	الحلق والتصوير ثم معه آدم والملائكة وبليس - (آدم يذكر للمرة الأولى)
٤	يس	﴿ أو لم ير الإنسان ما خلقناه من نطفة ﴿١﴾ فإله هو حصيم مبین ﴾
٤٦	العنقرات	أما والشعر والنسب وانصهر
٤٢	فاطر	﴿ والله جنقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعناكم أرواحاً ﴾
٤٣	مريم	﴿ أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾
٤٤	صه	﴿ مني جنقاكم ومني بعيدكم ومني بها نخرجكم تارة أخرى ﴾ آدم وعيدته الأرضية
٤٩	الإسراء	اعرض إنييس على السجود لطيرين وحوار بين الله وبينه

رقم السورة حسب النزول	اسم السورة	ملاحظات
٥٣	الصجر	الحلق من صنعان من حمأ مسنون إلى آخر القصة
٥٤	الأنعام	إشارة إلى خلق من الطير لا شك من هذا
٥٥	الصافات	إشارة إلى الحلق من الطير اللارب
٥٩	عنبر	إجمال مراحل الحلق والشبحوحة
٦٨	كهف	علاقته الرب بالنطفة ﴿ ثم سواك رجلاً ﴾
٦٩	نجر	﴿ خلق الإنسان من نطفة عبدنا هو حصيم مبین ﴾
٧٠	نوح	الاطوار والإنسان من الأرض ولعودة إليها
٧٢	الدخان	أجده من ماء ﴿ من ماء كل شيء حي ﴾
٧٣	الرحمن	تفصي مراحل الحلق ﴿ من سلالة من طير ﴾
٧٤	سجدة	﴿ ما خلق الإنسان من طين ﴾ ثم جعل منه من سلالة من ماء مهين ﴿

رقم آية	اسم السورة	ملاحظات
٨١	الانقطار	﴿ خلقت فسواب معدك ﴾
٨٣	الروم	الخلق من تراب ثم الانتشار على الأرض بشراً
٨٦	البقرة	العلاقة والسجود من الملائكة والتمرد من إبليس.
٩٣	النساء	الخلق من ﴿ نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾
٩٨	الرحمن	الخلق واسميان - ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ خلقه فعلمه مصار إنساناً
٩٩	الإنسان	﴿ حين من الدهر ﴾ هو الماضي البشري ﴿ لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾
١٠٤	النور	﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ . وأشكال الخلق
١٠٥	الحج	تقرير كامل وينتهي عن خلق الإنسان ومراحله.
١٠٨	الحجرات	ذكر وأنثى - شعوب وقبائل - تعارف حصارة

لقد بدأ انقراض ومصته الأولى والآيتين الكريمتين ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ ﴿ [العلق] . وهي بداية رائعة ، تتضمن تعريف الله سبحانه وتعالى لذاته ، وهو يخاطب مصطفاه محمداً خطابه الأول ، ولتحقيق هذا الغرض يذكر من صفاته الحسنی صفة (الخلق) ، وليس دون هذه لصفة إمكان التعرف ، وفي الحديث القدسي (كنت كثيراً مخفياً فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فبى عرفونى) ، ويدهى أن يتعرف المخلوق على خالقه ، سيما وهو يخاطبه ، ويعرفه بنفسه ، ويرويه بادي المعلومات عن أصل الصنعة . ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ . وهي معلومة موضوعية خالصة

ويدهى أيضاً أن يشير هذا السؤال في نفس المخاطب (محمد) أشواقاً إلى معرفة لا نهاية لها ، ونصفاً إلى إدراك العلاقة بين (العلق) في مهاتمه ، وقلة شأه ، و (الإنسان) في مهاتمه وعظم شأنه ، في شخص المخاطب لا من بهذا الكلام (محمد المصطفى) صلى الله عليه وسلم .

ويأتى بعد ذلك الحديث القرآني الثاني عن (الإنسان) فإذا هو لا يذكره بالمفظة ، بل يستخدم لفظاً آخر يدل عليه ، هو (البشر) ، وذلك في الصورة الرابعة من التنزيل العريض ، صورة (المدثر) ، وترد فيها لفظة (البشر) أربع مرات في الآيات (٢٥) ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ . و (٢٩) ﴿ نَوَاحٍ لِّبَشَرٍ ﴾ و (٣٠) ﴿ رَمَاهُ إِلَى دَكْرَى لِّلْبَشَرِ ﴾ ، و (٣٦) ﴿ مَدِيناً لِّلْبَشَرِ ﴾

ولا ريب أن مدون الكلمة في الآيات الأربع يعنى المخلوق المخاطب بالآيات المتتلة من الروح ، أى . الإنسان في عمومته . ثم لم ترد كلمة

(الشعر) بعد ذلك في جملة من أسور بتزويد البرود حتى السورة السادسة والثلاثين ، وهي سورة القمر . وذلك في سياق قصة النبي صلى مع قومه ثمود ، حين قال قائلهم ﴿ أَتَشْرَأُ مَا وَاحِدٌ سِيعَهُ ﴾ (٢٠) [نفر]

بعد أن الإشارة التي نعتبر إصافه إلى المفهوم الأول نطلق باعتبارها المرحلة الأولى - جاءت في الصورة السابعة (في ترتيب البرود) وهي سورة الأعلى . فكرت المرحلة الثانية في إصدار الحلق وهي مرحلة التسوية ، فقال تعالى ﴿ سُبْحِ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) الذي خلق فسوى (٢) [الأعلى] ، والتسوية عمل إلهي سوف يرد ذكره باعتبارها رانما الحطود الثانية في بناء هذا الحلق

والذكر ههنا هو مطلق الحلق ومطلق التسوية دون ذكر محيها وهو هو الشعر ، أو لإنسان ذكر المبدأ يصرف العبارة إلى بيان ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ أدى أشارت إليه لسورة الأولى

ثم جاء ذكر (الإنسان) في سورة القين ، وهي السورة السابعة والعشرون برولا ، وذلك في قوله تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ (١) ثم رددناه أسفل سافلين (٢) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم أحر غير ممنون (٣) [نفر] ، والإشارة ههنا إلى (الإنسان) الذي خلق من علق . وعلمه الله ما لم يكن يعلم . ونقسم ههنا الإنسان إلى مستوى رفيع ﴿ في أحسن تقويم ﴾ ، ومستوى وصيع ﴿ أسفل سافلين ﴾ . وهو : صف لواقع أدى يحاط به الوحي الفرسي في مكة : « قدس آمنوا وترتصو وأناس كفرو ، فاتصعوا

ثم يعود القراء إلى خلق الإنسان في سورة القيامة . وهي السورة الثلاثون برولا ، وذلك في قوله تعالى ﴿ يا عجب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (١) ألم يك نطفة من منى يمى (٢) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣) فجعل منه الروحين الذكر والأنثى (٤) [نفر] . وفي هذه آيات إشارة إلى المرحلة السابقة على ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ وهي مرحلة النطفة من المنى يقدمها الرجل في رحم المرأة ، لنصبح من بعد عينة بتخلق منها الذكر والأنثى

ونصنحت الآيات ههنا أدركه العلم الحديث - إشارة دقيقة إلى أن تحديد نوع الحين ، ذكرًا كان أو أنثى ، يتوقف على متى ارحل لا على بويضة المرأة

وهكذا أعادت هذه الآيات مزيداً من المعرفة بعملية الحق وتفسيره فهي في الحقيقة بيان لما أجسه النص الأول في سورة العلق

وكان حرص القرآن في تلك المرحلة الأولى على تأكيد العلاقة بين الحياة والموت والبعث بهو في آيات القيامة يحتمها بقوله ﴿ ليس ذلك بغادر على أن يحيى الموتى ﴾ (١) [القيامة] . وهو في السورة التالية بها ، سورة المرسلات (الثانية والثلاثين برولا) يعيد هذه الحقيقة في قوله تعالى ﴿ ألم نحثكم من ماء مهين ﴾ (١) فجعلناه في قرار مكين (٢) إلى قدر معلوم (٣) فقدرنا همم النادون (٤) [مرسلات] . وهو ههنا يصف (المني) المذكور في سورة القيامة بأنه : ماء مهين (ولكن قدره المقدرة هي التي جعلت ههنا بناءً سوياً

وبرت بعد ذلك سورة (ق) وهي اسوة الثالثة ولثلاثون - لتنفيد

حضور الله في نفس الإنسان ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُؤْمَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق] ، فكيف يفلت الإنسان من قبضة الله ؟

ثم يأتي النص في سورة (الطارق) ليضيف مزيداً من المعلومات عن اناء الدافق (المرس) الذي يخرج من بين الصبب والنراشب ، وهي معلومة لم تكن معروفة حتى عصرنا ، و (الطارق) هي السورة الخامسة والثلاثون برولاً

ثم برات سورة (ص) تذكر قصة الخلق لأول مرة ، وهي السورة السابعة والثلاثون برولاً ، قال سبحانه وتعالى

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سُوِّيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ مِنْ نَارٍ وَلَئِنْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ نَارٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنْ طَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدَّيْنِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَانْظُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُعْثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) لَنْ يَرَى يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّدَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) لَأُعَذِّبَنَّكَ مِنْهُمْ مَعْصِيَتِي (٨٣) قَالَ لِلْحَقِّ وَالْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ [ص]

عصر القرآني يتضمن لأول مرة أساسيات القصة ، قصة الخلق ، من شأنها أن يمتد بها وكل ما جاء بعد ذلك منصوص بقرآن متحدثاً عن قصة يضيف معص التفاصيل التي تثرى حوها وتوضح عصر آخر مصها

والأساسيات التي نقصدها هي القصة هي

- ١ - إخبار الله للملائكة بأنه سيخلق البشر
- ٢ - خلق البشر من طين - التوسية - النفخ من روح الله - الإنسان
- ٣ - أمر الملائكة ومعهم إبليس بالسجود للمخلوق عند استوائه واكتماله
- ٤ - سجود الملائكة أجمعين
- ٥ - رفض إبليس للسجود استكباراً
- ٦ - ادعائه الأخيرة على هذا المخلوق بخيرية الدرس على الطين
- ٧ - طرد إبليس وإمهال إلى يوم الدين
- ٨ - توعد إبليس بغريه نسي آدم ، إلا المخلصين
- ٩ - وعيد الله بهجهم من سبع إبليس

هذه الأساسيات تتكرر في جميع المواضع الأخرى في السورة التالية ، ولكنها تريد بعض التفاصيل المشرية - كما قلنا - وهو ما ملاحظه مثلاً في السورة التالية برولاً السورة الثامنة والثلاثين وهي سورة الاعراف

غير أننا ملاحظ بداية أن القصة في سورة (ص) لم تتضمن ذكر آدم بل قصرت على الإشارة إلى أن المخلوق - موضوع الحديث - هو بشر (بشر) ثم جاءت سورة الاعراف لتذكر آدم للمرة الأولى في الوحى القرآني ، فكان ذلك تفصيلاً بعد إجمال ، ومع ملاحظة أن لسورة نيز متتاليات - ولكن تعرض تفصيل القصة بتابع مناقشه كل أسسفة على حدة

الفصل الخامس

أولاً : إعلام الملائكة

قوله سبحانه وتعالى للملائكة ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾ ، وهي عبارة تحمل كثيراً من المعاني ، ذلك أن الآية تبدأ بعبارة ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ ، وهي تستخدم لفظة (أمر) مضبوطة إلى صميم مخاطب وهو (محمد ﷺ) ، على سبيل ما جاء في الخطاب الأول ﴿أَفِرَأُيَاكُمْ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وهي إصافة تقرب النبي من حضرة ربه وتذنيه من جلالة وهو ما جرى عليه الوحي في السور لألى بشكل عام لكن كيف قال ربك ؟ وكيف تلقى الملائكة هذا لقول ؟ ذلك ما لا سجل إلى إدراكه ، وإن كان هناك سبيل إلى تأويله فالرب إذا تكلم بكلامه ليس بحرف ، ولا صوت ، وهذه صفة كلامه النفسي كما قررها علماء الكلام ولكن براك لخطاب إلهي يتحقق في كل جنس بحسبه ، فإذا تلقى الإنسان ذلك الخطاب فمن خلال الحرف والصوت واللغة وإذا نفقته الملائكة فمن خلال قدراتها التي تختلف عن قدرات الإنسان لاختلاف طبيعتها عن صيغته ولا مانع من أن يكون لغة ما كيف فطر الله ملائكته

أما كيف تم هذا الحوار فهو في عمار الغيب المحجوب ، والحدث فيه تداع ، تشابه من آيات الله وسؤال الله أن يساعد بين الفتر

وإن يلهمنا القدرة على تأويل هذه التمشّاهات بما يليق بجلاله ، وكل ما يعيننا هو التسليم بصدق الخبر ، ووقوع الحوار ، والله من ذلك حكمة هو أعلم بها .

ولا ريب أن تلقى النبي ﷺ لهذا الخطاب كان مستلماً عن تلقينا به ، باعتبار أنه أعلم بربه وأنه ذو اتصال بالملا الأعلى (علم الملائكة) ، منذ جاء الروح الأمين بالوحي ، فإذا خاطب الله نبيه فإن لهذا الخطاب موقعه من نفس النبي ، حتى تكاد قدراته الروحية ترتفعه إلى مرتبة الشهود ، استشفافاً لما وراء الكلمات المنزلة ، واستشراقاً للحضور القدسي ، فهو مائل على الأرض ، وهو في نفس الوقت يعاين من آيات ربه ما لا يعاين الجوس من حوله ، إن كان الوحي يحضر منهم .

أما الملائكة فحسبنا من وصفهم ما جاء بشأنهم في القرآن فهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ، وهم لا يسبقون الله سبحانه ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ﴿الأنبياء﴾ ، وهم كذلك ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢٩) [التحرير]

ووصفهم القرآن أيضاً في مطلع سورة فاطر أو (الملائكة) - بقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّثْيَ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ..﴾ (١) [فاطر]

ولا ريب أن لهذه الأوصاف معاني محددة لا نستطيع أن نحيط بها علماً وحسناً هنا أن نخفل عن تفسير (النار) ما قرره الأستاذ الإمام محمد عبده ، حين تحدث عن الملائكة ، فقال : (أما الملائكة فيقول السلف

إنهم خلق أحسبنا الله تعالى بوجودهم ، وسعصع عبادهم ، فيحبب علينا الإيمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فهو من علمها إلى الله تعالى ، فإذا ورد أن لهم أجنحة فؤمن بصدق ، وبكبره وول : إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور ، إذ يوكد كذلك لرأيناها ، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوامل الجسمانية ، ككبره وول : وإنها ليست كذلك بل إنهم مستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر أنطق مره ، بعام المحسوس ، وإن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم بغير مسألة هذا ، بل يحكم بإمكانه ، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به)

ثم قد (وأما المائدة فيما وراء البحث في حقه الملائكة ، وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه

أحدها : أن الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى أمره أن يسأله عن حكمته في صنعه ، وما يخفى عليهم من أسرارته في خلقه ، ولا سيما عند السيرة . والسؤال يكون بالمقال ، ويكون بالحال والله ، إلى الله تعالى في استفادة لعلم بالمطلوب من يتابعه التي جرت . ، تعالى بأن يفيض منها (كالبحث العملي ، والاستدلال العقلي ، والإلهام الإنسي) ، وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم ، غير ما ، فب لأحد من البشر ، فيمكننا أن نحمل سؤال الملائكة على ذلك (١)

(١) تفسير المنار ١/٢١٧ - ٢١٢

ثانيا : خلق البشر من طين

وبصر علام الله للملائكة يأتي هكذا ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ ضَرِيرٍ﴾ (٧) ﴿[مر] واستخدام الصيغة (خلق) هنا بعد الأحداث أى الإجماع من عدم ، والسؤال هو هل هذه الصيغة فى موقعها تفيد المضى أو المستقبل ؟ ويرى عبد سعيد المصطفى ، أى إن الله كان قد خلق هذا البشر قبل الإعلام به . وقد ادّعى سحر الملائكة تهيئة لهم ، حتى يتابعوا أحوال المخلوق ، خلال مراحل التسوية والفتح الإلهى - كيما يقعوا له ساجدين - كما أمر الله . وعبر لك (الخلق) داخل فى الأمر الأزلى (الحالو) (كن) وهو ما تعرف الملائكة كل تفاصيله ، إلا أن يأذن لها الله بذلك . أما بعبارة : **بشر** (بشر) (بشر) (بشر) ، والعلاقة بينهما

بشر هو تسميته لذلك المخلوق الذى أبدعه الله تعالى من الطين . **بشر** من (بشر) ، وهو يفيد (الظهور مع حسن وجمال) ، **بشر** من (بشر) هو أصل واحد ظهور الشيء مع حسن وجمال ، **بشر** بشر (بشر) لظهورهم^{١١} وفى المعجم الكبير البشر الإنسان . **بشر** : بشر ، وللوحد والمثنى والجمع ، وقد يشى كما جاء فى القرآن : **بشر** بشرين مثلاً (١٧) ﴿[المؤمنون] وقد جمع على (أشبار)^{١٢} لكن **بشر** منه إفراد . مع ملاحظة أن الكلمة جامدة لا تتصرف بوجه **بشر** والمعرى المناسب لها هو ظهور هذا المخلوق من بين ترب **بشر** : **بشر** ، كما ورد ذلك فى الإسراء والأنعام والنصب .

١١ - ٢٥١ ٢٥٢

١٢ - ٢٤٥ ٢٤٦ رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان خلقه بكل بساطة كما ظهرت النباتات ، وهو قوه تعالى فى سورة نوح (استعير نرولا) ﴿وَاللَّهُ أَنْتِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَشَرًا﴾ (١٧) [نوح]

ومع أن كل حيوان أو طير أو حشر - إلى آخر سلسلة الكائنات - هو من طين ، فإن البشر هو أبرز هذه المخلوقات ، وأكد وجوباً ، فلذلك أطلق عليه فى القرآن (البشر) أى اصاهر على كل الكائنات الطينية يسخرها لخدمته ، ويستمد منها قوته وقوته ويصارع وجودها تأمينا لوجوده

وربما كان إطلاق كلمة (بشر) أيضا بهذا المعنى ، وهو (الظهور) - مقابلاً لـ يتصف به عالم الملائكة ، وعالم البشر من علم الظهور ، فهم خلق لا يرى وقد قرر القرآن ذلك بشأن (الجن) ، أى كلمة مشتقة من معنى (الاحتيا) وهو لاستتار ، والله يقول عن الشيطان وقيله ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (٢٧) ﴿[الأعراف] ، فالظهور فى البشر ، والحياء فى الجن - هما حفيضة الحياة التى تعبر هذه لأرض ، على أبناسه ، وأماء ، وفى جو السماء

والعجيب أن لعربية لها تميز وتوقفاً على اللغات الأخرى ، فقد حقق بهذا اللفظ (بشر) تطابقاً عجيباً مع معناه ، وكأنما كانت تستعلى اعيب ، وتستغنى عن أسسها ، ليمسحها هذه النقطة ، دون اسات الأخرى فى الفصحة لسانه من دون ما عهدنا من اللغات الأوروبية

فاللغات اسامة كالسريانية والحبشية ، ولأراميه - لا تعرف كلمة (بشر) ، بل ولا تعرف كلمة (إنسان) ، وإنما استخدم فيها هو ما يؤخذ من كلمة آدم) ، أو (بني آدم) ، وقد عرفت العصرية هاتين

كلمتين فعلاً للدلالة على (الإنسان) ، وأما (بشر) فقد جاء في سفر التكوين لفظها بالسین (بسر) ، وهي بمعنى (لحم) ، وبمعنى (نفس) .
في عبارة العهد القديم (كل بسر حي) ، أي كل نفس حية^(١) .

ميراث هذه الكلمة (بسر) على خلاف القاعدة العادية بين العربية والعبرية ، منحصر يعرف أن ما ينطق بالسین في العربية هو في العبرية بالشین . مثل سلام وشالوم ، وسماء وشمائی وطردا لهد ، القاعدة كان الأصح أن تكون السین في العربية وبالشین في العبرية ، لكن ما حدث هو العكس

هذا من ناحية اللفظ ، وأما من ناحية المعنى فهناك اختلاف كامل بين معنى الكلمة (بشر) في العربية ، ومعنى (بسر) في العبرية وهي علامة استقهام تحتاج إلى إجابة حاسمة

وفي الفارسية استخدمت الألفاظ العربية ، مع كلمة (مُرد) ، وهي الوحيدة في اللسان الفارسي بمعنى (رجل وافر وشخص وإنسان) ، وهي أيضا كلمات مستخدمة فيها

وهي اسم الأرمدة استخدمت كلمة (آدمي) في ترجمة كلمة (بشر) ، واستخدمت كلمة (إنسان)^(٢)

وأما اللغات العربية فمبها الإنجليزية ، وقد استخدمت كلمة (man) بمعنى (بشر وإنسان) ، وقد استخدم محمد بكثال في ترجمته للقرآن

^(١) معلومات مستقاة بواسطة الرميل الدكتور عبد الرحمن عوف - رحمه الله - استاذ العربية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

^(٢) مرآة حكيم أريد ترجمته - سيد شير سيد

كلمة morta بمعنى (بشر) ، وكلمة man بمعنى (إنسان) ، في حين استخدم المترجم عبد الله يوسف على كلمة man في كلا المعنيين ومع أن الإنجليزية عرفت كلمتين هما mankind و human being ، فإن كليهما ذات علاقة بمعنى (إنسان)

وكذلك العرسيه ، فقد جاء في ترجمه دنيس ماسون استخدام كلمة homme مقابل (إنسان) ، و mortal مقابل (بشر) ، وفي ترجمة صلاح الدين كثرید homme إنسان - etre humain بشر . واقتصر محمد حميد الله على كلمة homme للمعنيين ، في حين استخدم جاك بيرك homme إنسان و human بشر

ولا يحفى أن المراد بكلمة mortel هو الفاني أو الهالك ، في حين تعنى عبارة etre humain أو human being كائن إنسانى ، فلم تعرف اللغتان ما عرفته العربية لكلمة (بشر) من تقابل معانيها مع المقصود بكلمة (جبر أو ملك) أو دلالتها على الحسن والحمال

وقد استخدم مترجم القرآن إلى ابعة لجرية كلمة ember وهي بمعنى (إنسان) في ترجمة كلمة (بشر)^(١)

كما استخدمت اللغة التركية كلمة (إنسان) في موضعين^(٢)

ومهم تتنوعا ترجمت القرآن في ابعث المختلفة فإننا لا نجد سوى كلمة منه في مرادفتها مجموعته الترجمات التي أصدرها مجمع الملك فهد بن عبد العزيز بمدينة البصرة ، وقد سعت عندها سبع عشرة ترجمة

(١) ترجمه القرآن الى ابعة لجرية كويكك ميلكون سورة الحجر - ص ١٨٤

(٢) ترجمه القرآن الى اللغة التركية مجمع البت فهد - مدينة البصرة - ص ٢٦٢

باللغات الإسلامية وغيرها ، وهو دليل على أن مترجمي القرآن لا يجدون في لغاتهم سوى كلمة واحدة للمعنيين ، وهي دائماً بمعنى (إنسان)

■ ■ ■

استعمالات القرآن لكلمة (بشر)

ولو أننا تابعت استعمال القرآن لهذه الكلمة فسنجد أنها استخدمت في نفس السياق ، وب نفس المعنى (مخلوق ظاهر مع حسن وجمال) ، في أربعة مواضع هي قوله تعالى (على ترتيب النزول) :

- ١ - ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۖ ﴾ [ص]
- ٢ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ ﴾ [الفرقان]
- ٣ - ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۖ ﴾ [الحجر]
- ٤ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن نَّرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنفَشِرُونَ ۖ ﴾ [الروم]

أما بقية المواضع فقد استخدمت فيها الكلمة بمعنى عام ، هو (مخلوق عام متميز) ، أو بمعنى أعم (مخلوق) ، فإذا أريد تمييز هذا المخلوق عن غيره بالكلمة بوصف مميز ، كما في قوله تعالى ﴿ فَخَلَقْنَا لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [يونس] أى مخلوقاً معتدلاً ، لا إفراط ولا تفريط ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَخَّرَ لَهَا مِنْ غَدِيرِهَا رُجُلًا ۖ وَكَتَبَ الْبَشَرُ رَسُولًا ۖ ﴾ [الزمر] ، أى مخلوقاً مرسلاً من الله ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ ﴾ [الشورى] فهو مخلوق مميز على كل المخلوقات بأوحى المنزل .

وقد يُصمَّمُ بوصف وبيّره السياق ، كما في قوله تعالى ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مِثُّكَ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف] ، فمع أن كلمة (بشراً) هنا تنكرة ، فإن السياق يفيد أن المشار إليه ، هو (الجمال) ليس جمال مخلوق بشرى ، بل هو جمال ملك كريم ، وهي جملة تأتي على سبيل ابتداء ، ولا فائدة لكريم مخلوق أيضاً كالبشر ، والمعنى في النهاية : هذا بشر جميل فائق الجمال ، حتى فاق جنسه ، ودخل في جنس آخر أجمل وأرقى .

وقد جاء استخدام اللفظة بالمعنى العام في قوله تعالى ﴿ أَنبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ۖ ﴾ [طه] ، وهو إنكار من قوم ثمود أن يكون صالح بشراً متميزاً عليهم وهو قول تكررت روايته في القرآن في نفس السياق انقضى ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ۖ ﴾ [الشعراء] ، لعدم التمييز هنا يعتبر وصفاً كتمييز تماماً

واستخدمت الكلمة بالمعنى الأعم في مثل قوله تعالى على لسان مريم ﴿ أَيْ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ ﴾ [مريم] ، أى : مخلوق على الإطلاق

ولم تخرج الكلمة في الاستعمالات القرآنية عن هذا الإطار ، مع ملاحظة أنها وردت في لوحى امكى في سبعة وعشرين موضعاً ، ولم ترد في لوحى امينى إلا في أربعة مواضع ، مقتصره على إعادة معنى (مخلوق) فقط ، وهي الآيات :

- ١ - ﴿ قَدْ رُبَّ نَبِيٍّ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ ﴾ [ال عمران]

٣ - ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ (٧٩) ﴿إِنْ عَرَفْتُمْ﴾

٣ - ﴿فَقَالُوا ابْشِرْ يَهُودُومَا...﴾ (٦) ﴿التَّوْبَاتِ﴾

٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ابْشِرْ فَمَنْ خَلَقَ...﴾ (١٥٨) ﴿الْمَاءِ﴾

وحلاصة القول أن الكلمة جاءت في القرآن بمعان أربعة

الأول ابشرو هو الظاهر على كل الكائنات (وهو المعنى الأصلي)

الثاني المحتوى بإطلاق (وهو المعنى الأعم)

الثالث المخلوق غير المتميز (وصف سلبي)

الرابع المخلوق المتميز (وصف إيجابي)

ومن الواضح أن المعنى الأصلي الحقيقي هو المعنى الأول . أما المعاني الثلاثة الأخرى فهي معانٍ سياقية يمكن اعتبارها توسعاً في استخدام المعنى الأصلي . وهو فيما لاحظنا أكثر شيوعاً في الاستعمال القرآني

الفصل السادس

أولاً : حقيقة الطين

أما الطين فقد جاء في مواضع مختلفة بهذا اللفظ . والمقصود به إجمالاً (تراب - ماء) وقد بادر النص الكريم إلى ذكر (ماء) أصلاً لحلق البشر - والماء أحد طرفي المعادلة - في قوله تعالى في سورة الفرقان (الحادية والأربعين نزولاً) قال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٥٤) ﴿فَرَقَبْنَاهُ﴾ . وهي إشارة تنحصر في عموم قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (٣٠) ﴿الْأَنْبِيَاءِ﴾ . وسورة الأنبياء هي الثانية واستمعون نزولاً ، إلى أن يدرج النص الكريم بتفصيل حاسم في سورة النور ، وهي السورة الثانية بعد المائة . فيقول سبحانه ﴿وَسَبَّحْتَ كُلَّ ذَا بَعْدَ مَاءٍ فَجَعَلْنَا مِنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَهُمْ مِنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ (٤٤) ﴿النُّورِ﴾ . وليس وراء ذلك شكل من أشكال الحياة فيما يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض

وعوّذ إلى سورة الفرقان الحادية والأربعين نزولاً . وإلى ذكر فيها (ماء) أصلاً بشر - فحدد أن السورة الثانية لها مباشرة في التنزيل . وهي الثانية - نرى سورة طه (ذكر) (أنوار) وهو الطرف الثاني للمعنى الطبيعية . فيقول سبحانه ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمِنْكُمْ مَنْ تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَعْلَمُ وَمِنْكُمْ مَنْ مَعْمَرٌ

ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿١﴾ [سجدة] وهي آية متمم الكثير من اختصاصات القدرة الإلهية ، بعضها - إلى جانب (الباب) و (الطرفة) - إشارة إلى الروحية ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ . وكأنها تفسير بوجه آخر لعبار السورة السابقة (الفرق) التي ذكرت و جعله ساء و صهراً ﴿ أي في شكل أزواج متكامل فيما بينها ﴾

ثم تكتمل معادله انطين بردها إلى الأرض ، باعتبارها مست الخلق ، وذلك في سورة (طه) (الاربعة والأربعين) ، فيقول سبحانه ﴿ مِنْهَا جَعَلْنَاكُمْ وَفِيهَا يُعِيدُكُمْ وَفِيهَا يُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه] كما قال في السورة السبعين (يوح) ﴿ وَاللَّهُ أُنْتِكُمْ مِنْ أَرْضٍ يَبَتَات ﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ [يوح]

ويتكرر ذكر التراب بعد سورة (طاهر) في سورة الكهف (الثامنة وأستين بزوايا) ، في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحْذَرُ كَفَرْتَ أَيَلْدِي سَمَكٌ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ تُطْفِئُهُ ثُمَّ سَوَّاهُ رَحْلًا ﴾ [كهف] وهكذا يقدم القرآن الحقيقة إجمالاً ثم يفصلها تدريجياً على مسار توحى

ويتعرض القرآن في سورة الحجر ، وهي السورة الثالثة والخمسون بزوايا ذلك هي الآية الثامنة والعشرين - يتعرض لبعض أوصاف الطين المادة البشرية ، وهي قوله تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأْنِكَةِ إِنِّي جَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ

﴿١﴾ لا ر . ثم بعد ما يوضح إليه العظم حمراً في مجال استسحب - الحيوان . ثم ما هو في به العظام من عصبية النعجة - دوللي . فإن إشارة القرآن إلى إنتاج الإنسان من طين هو خروج الإنسان من الطين الرسمي بعبور الألبان في مجال الحياة الموصف : وهو لا يعني وجوده - حتى يحدوث العظم مدركها

تُسَوَّبُ ﴿٢﴾ [الحجر] - لقد زادت هذه الآية للمادة وضوحاً حين ذكرت أن الطين كان في شكل (صلصال من حمأ مسبور) ، و (الصلصال) هو الطين الياس أو هو الطين لحر حط بالرمل فصاوا يتصلصن إذا جف ، وهذا صيغ بالدار وهو انقضار ، وآية سورة الرحمن (السادسة والتسعين بزوايا) ﴿ حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن] تدعى عن الصلصال أن يكون صيغ بالدار ، وإن شَبَّهَتْهُ بالفخار في حقاها ، والحمأ هو الطين الأسود ، والمسبور هو المبتل المنق ، وقد راد من صفات هذا الطين في سورة الصافات (الخامسة والخمسين) فذكر أنه ﴿ طِينٍ لَأَرْبِ ﴾ [الصافات] بمعنى متلاصق أملس متماسك

وسواء - في الحقيقة أن يستخدم القرآن في تعبيره عن أصل البشر لأرض أو انتراب ، أو الطين ، أو الصلصال أو الحمأ المسبور ، فكل ملك لا يختلف ، لأن المكونات وحدة تماماً ، في التراب وأشكاله السابقة ، وفي لحسن البشري أو المادة الحية

يقول الأستاذ الهجي الحوي (لو أنك أخذت مبيضة من تراب الأرض لحصنة ، وأجريت عنها عميمات التحليل الكماوى لوجدتها تتركب من ستة عشر عنصراً ولو أخذت قطعة من حسم الإنسان وأجريت عليها عميمات هذا التحليل لوجدتها كذلك تتركب من ستة عشر عنصراً - في نفس العناصر التي تتركب منها برة الأرض ، وهذه العناصر هي ما يأتي

١	أكسجين	٦٢.٠٢	٢	أكبريون	٢٠.٢
٣	الأيدروجين	٩.٩٠	٤	البيرتروحين	٢.٥٠

- ٥ - الكالسيوم = ٢,٤٥٪
٦ - الفسفور = ١,٨٪
٧ - الكلور = ٠,١٦٪
٨ - الفلور = ٠,١٤٪
٩ - الكبريت = ٠,١٤٪
١٠ - البوتاسيوم = ٠,١١٪
١١ - الصوديوم = ٠,١٠٪
١٢ - المغنيسيوم = ٠,٠٧٪
١٣ - الحديد = ٠,٠١٪

اليود + السليكون + المنيجيز = آثار ضئيلة^١

وقد تبين من جمع النسب المختلفة أن الآثار الضئيلة من (اليود ، والسليكون ، والمنيجيز) لا تتجاوز ٠,١٨٪ للعواد الثلاث وقد أضافت قوائم أخرى مواد أرضية دخلت في تكوين الإنسان ، وهي النحاس والكوبالت ، والتوتيا ، والموليبدوم ، والألمونيوم ، والسيلينيوم ، والكادميوم ، والكروم ، وبذلك تصل العناصر انشائية في الإنسان إلى أربعة وعشرين عنصراً

خلق للبشر كان من معدن الأرض كما قال سبحانه وتعالى في السورة الثانية والعشرين فزولاً - أي في الوحى المكى المبكر - ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ (٣٦) [النجم] ، أي من معدن الأرض ، وهو الصلصال المتخذ من الصخر لاسود المتر - هكذا شاء إرادة الله ، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة ، وإن يكذب بها ، مع أن هناك في مراءى الصين مسافة هائلة من الطين والنجم حشر الطين مادة خامدة ، والنجم انشئى بسبح حتى متمم

١ - مع عنه السلام يهوى الحولى ص ١٥ وما بعدها

وهي مسافة لم يقطعها العقل لإنسانى حتى الآن ، ولم يقطعها في المستقبل ، معنى أن العقل لم يكشف عن سر التحول الذى جعل التراب لعملاً حياً وبتدريجاً ومن ثم من يكون يوسع الإنسان - مهما تقدم في دراساته عن الخلية الحية ، وعن الهندسة الوراثية - أن يحول التراب إلى خلايا حية ، فالمسافة بينهما برزخ يستحيل عبوره على قدرات الإنسان لأنها في الواقع تعبير عن إمكانات قدرة الله المتعددة بالخلق والإبداع ، بالإحياء والإفناء

هد عن مسافة بين التراب ومادة الحية ، فاما عن مسافة بين التراب والمصوق الشرى عيقوب الأستاذ سيد قطب ، وهو يعلق على قوله تعالى ﴿فَنَسِطَ الْإِنسَانَ مِمَّا خَلَقَ (٥) خُلُقٍ مِّن مَّاءٍ ذَّاقُوا (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾ [المائدة] ، (فالمسافة الهائلة بين المنشأ والمصير ، بين الماء الدافق الذى يخرج من بين الصلب والترائب ، وبين الإنسان المدرك العاقل ، المعقد المركب العصى ، والعصى ، والعقل ، والنفس) هذه المسافة الهائلة التى يعمرها ابناء الدافق إلى الإنسان الناطق توحى بأن هناك يداً خارجة عن الإنسان هى التى تدفع بهذا الشيء اساع الذى لا قوام له ، ولا إرادة ، ولا قدرة في طريق الرحلة الصويلة العحيية الهائلة ، حتى تنتهى به إلى هذه نهاية الماتية ، وتشى بأن هناك حافظاً من أمر الله يدعى هذه النطفة النجده من اشكل والعقل ، ومن الإرادة والقدرة في حلقب لصويلة العحيية وهى تحوى من اعجابات أضعاف ما يعرض للإنسان من العجائز من موده إلى ممته^(١)

١ - على خلال القرآن - سورة حرق

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن الماء قد يقصد به ما يظط بالتراب ليصير طيناً ، وقد يقصد به الماء المبهين الذي يبدو في ظاهره لا علاقة له بالطين ، وإن كان في الحقيقة حافلاً بموجودات ترابية - طينية ، متمثلة في الكائنات الحية التي تعتبر : (كبسولة الحياة) . ويتحدث العلم عن مئات الملايين من هذه الكائنات الحية في مدى الرجز في الدقة الواحدة تندفع في رحم المرأة ، في نهاية الاتصال الجنسي وكل هذا صادر عن التراب ، وعائد إلى التراب

ثانياً : الخلق النفسى

وتبقى بعد ذلك آيات تحدثنا عن خلق الإنسان من نفس واحدة . ومما آية الأعراف . وهي لسورة النعمة والثلاثون مبرولاً قوله تعالى ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما نفثها حملها حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴾ (٢٣) فيما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ (٢٤) [الأعراف]

وأنه النساء . وهي السورة النافثة والنسعون مبرولاً قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ربث منهما رجلاً كثيراً ونساءً .. ﴾ (٢) [النساء]

ولآيات تفرد وحدة الأصل الإنسانى ، بد مصاطب ههنا هو الناس كما هو مص الاية الثانية وكما هو مفهوم الاية الاولى لأن الخطاب في انقرآ لم يوجه مطلقاً إلى البشر بل إلى الإنسان ، وسهى أن يعرف آدم حميف متمور لآدم ، كما قال رسول الله ﷺ (كلكم لآدم) ، أى لآدم وحواء باعتبارهما المصدر الوحيد الذى تناسبت منه كل الدارارى الإنسانية عبر أن خلق روح آدم من نفسه مشكل ههنا حواء من صلح آدم كما وردت ذلك اثار ٢ أو أن حواء حنقت حلقاً مستقلاً ، كما هو شأن آدم ٢

الاحتتمل الأخير هو الراجح في نظرنا لأميرين

اولهما أن كثيراً من العلماء اعتبروا مسألة لصع محرد المرأة وعطرتها

لكنهما : أن خلق جواء من نفس آدم مؤول على أنها من نوعه وجنسه .
ولقد جاء ذلك بالنسبة إلى كل زوج في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ۖ ﴾ [الروم]

ومن المؤكد أن المقصود بآية الاعراف ليس آدم وزوجه . لأن الآيات بعدها تتحدث عن أن الزوجين جعلوا لله شركاء فيما اتفعا من الذرية . ولم يكن هذا من آدم وزوجه

وتبقى آية النساء معبرة عن الأصل النفسي الذي انبثقت منه كل العوس ، وعلى الرغم من اختلاف الأقوال في حقيقة هذه النفس ، فإننا نميل إلى أنها هي سر الله في الإنسان ، وبها صار إنساناً ، دونما سواء ، بالخلق فيما انتهى إليه تأملنا في هذه المسألة يتم على مستويين

خلق مادي من تراب ، وهو الخلق البشري الظاهر

وخلق نفسي من روح الله ، وهو الخلق الباطن . ونحن على يقين من أنه لولا تلك النعمة الإلهية لما كان ذلك المخلوق سوى دابة من دواب الأرض

علماء غرق العلماء أنفسهم في البحث عن ماهية النفس ، دون أن يصلوا فيها إلى شيء ، مع أن الحقيقة واضحة بين أيديهم ، وهي في غاية الوضوح بقدر ما هي في منتهى الغموض ١٢

إنها عيب من غيب الله ، وسر من أسرارها ، وهذا هو الوضوح الذي يصده ، كالكهرياء لا تعرف حقيقتها إلا بتأثيرها ، والمقل والروح و سر قوي أودعها الله كيان هذا الإنسان - لا تدرك حقائقها . وإن السبل على وجودها بتأثيرها ، فمن تأثرها أن تثبت منها زوج الرجل التي بسر الله

الفصل السابع

المشعر والإنسان

إذا كان القرآن قد ذكر خلق (البشر) في أربع آيات ، فقد ذكر خلق (الإنسان) في خمس وثلاثين آية ، هي على ترتيب النزول موزعة بين المكي والمدني . فالآيات المكية هي

١ - في سورة الأولى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴾ [العلق]

٢ - وفي السورة السابعة : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ لِسُونَ ۝ ﴾ [الاعلى]

٣ - وفي سورة السابعة والعشرين : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ ﴾ [التين]

٤ - وفي سورة الثلاثين : ﴿ أَتَعْجَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الْبَشَرَ الْبَشَرَ ۝ ﴾ [التين]

٥ - وفي سورة الثانية والثلاثين : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مُكِبٍ ۝ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝ ﴾ [الفرات]

٦ - وفي سورة الثالثة والثلاثين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا

فَرَمَوْسَ بِهِ نَفْسَهُ وَخَرَّ اقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٦٦﴾ ﴿٥٩﴾

٧ - وفي السورة الخامسة والثلاثين ﴿فَلْيَظْرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٩﴾ خَلَقَ مِنْ نَارٍ دَافِقٍ ﴿٦٠﴾ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ أُصْطَبٍ وَثَرَائِبَ ﴿٦١﴾﴾ [صبرون]

٨ - وفي السورة الثامنة والثلاثين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْنِسَ . . ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف]

٩ - وفي السورة الأربعين ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَن خَلَقَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ مَسْدُودَةٍ فَخَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ وَصَرَّبْنَا مِثْلًا مَثَلًا وَتَنَسَّى خَلْقَهُ . . ﴿٦٤﴾﴾ [س]

١٠ - وفي السورة الثانية والأربعين ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاحًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثَرٍ وَلَا نَنْصَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ . . ﴿٦٥﴾﴾ [مطهر]

١١ - وفي السورة الثالثة والأربعين ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٦﴾﴾ [مرسم]

١٢ - وفي السورة الرابعة والأربعين ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٦٧﴾﴾ [مه]

١٣ - وفي نفس السورة ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَافِثٍ أَنْ يَسْجُدَ لِلْعِزِّ عَزَازَةً ﴿٦٨﴾﴾ [طه]

١٤ - وفي سورة الحاشية والأربعين ﴿يَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا يَمُوتُ (١) أَنْتُمْ مَحْبُوبُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر]

١٥ - وفي السورة السبعة والأربعين ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْنِسَ قَالَ أَنَسَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتُ مِنِّي ﴿٧٠﴾﴾ [سراء]

١٦ - وفي السورة الثالثة والخمسين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحجر]

١٧ - وفي السورة الرابعة والخمسين ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام]

١٨ - وفي السورة الخامسة والخمسين ﴿فَاسْتَنْفَعْنَاهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لِأَرْبِ ﴿٧٣﴾﴾ [صافات]

١٩ - وفي السورة التاسعة والخمسين ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عُقَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُوَكُمْ أَشَدُّكُمْ . . ﴿٧٤﴾﴾ [عافر]

٢٠ - وفي السورة الثامنة والستين ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقْتُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ سَوَاكٍ رَجُلًا ﴿٧٥﴾﴾ [نكف]

٢١ - وفي السورة التاسعة والستين ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ فِئْدًا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سل]

٢٢ - وفي السورة السبعين ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٧٧﴾ وَفَعَلَ خَلْقَكُمْ أَطْوَرًا ﴿٧٨﴾﴾ [موج]

٢٣ - وفي نفس السورة ﴿وَمِمَّا أُنْتَبِذَ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتٌ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٨٠﴾﴾ [موج]

٢٤ - وفي السورة الثالثة والسبعين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

من طير (١١) ثُمَّ جعلناه نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٢) ثُمَّ خلقنا النُّطْفَةَ عِلْقَةً. (١٣) ﴿[المؤمنون]

٢٥ - وفي اسسورة الرابعة والسبعين ﴿الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طير (٧) ثُمَّ جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مهِينٍ (٨) ثُمَّ سوّاهُ ونفخ فيه من روحه .. (٩)﴾ [السجدة]

٢٦ - وفي السورة الحادية والثمانين ﴿يا أيها الإنسان ما عرّك ربك الكريم (٦) الذى خلقك فسواك فعدلك (٧) فى أى صُورَةٍ شاء ركبك (٨)﴾ [الانفطار]

٢٧ - وفي اسسورة الثالثة والثمانين ﴿الله الذى خلقكم ثُمَّ رزقكم ثُمَّ يميتكم ثُمَّ يحييكم . (٤٠)﴾ [الروم]

٢٨ - وفي نفس اسسورة ﴿الله الذى خلقكم من صُفٍّ ثُمَّ جعل من بعد صُفٍّ هُفَّةً . (٥٤)﴾ [الروم]

والآيات المديّنة هي

٢٩ - وفي السورة السابعة والثمانين ﴿وإذ قال ربك للسلانة إني جعل في الأرض خليفة .. (٢)﴾ [البقرة]

٣ - وفي السورة الثالثة والتسعين ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً .. (٦)﴾ [النساء]

٤ - وفي اسسورة الثامنة والتسعين ﴿خلق الإنسان (٢) علماً نبيّاً (١)﴾ [الرحمن]

٢٢ - وفي نفس اسسورة ﴿خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار (١٤)﴾ [الرحمن]

٢٣ - وفي السورة التاسعة والتسعين ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً (١) إنا خلقنا الإنسان من نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتِلهُ فجعلناه سمياً مبصراً (٢)﴾ [الإنسان]

٣٤ - وفي السورة الخامسة بعد المائة ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريبٍ من البعث فإن خلقناكم من نُطْفَةٍ ثُمَّ من نُطْفَةٍ ثُمَّ من عُلقَةٍ .. (٥٠)﴾ [الحج]

٣٥ - وفي السورة الثامنة بعد المائة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . (١٣)﴾ [الحجرات]

وبلاحظ من نصوص هذه الآيات أن (خلق الإنسان) جاء بلفظه فى ستة عشر موضعاً وأن بقية المواضع - وهى تسعة عشر موضعاً - يدل السياق فيها على أن المراد بها هو (الإنسان) ، وليس (البشر) ، حيث لكتفى النص بالإشارة دون العسارة ، أو جاء الخطاب للناس لا للإنسان ، أو كن لنص على آدم ، وهو - فيما نرى - أول نسان ، وكل ذلك جاء فى سور (الأعلى ، والمرسلات ، والأعراف ، وفاطر ، وطه - فى موضعين وفى الإسراء ، والأنعام ، والصافات ، وصمر ، والكهف ، ونوح - فى موضعين - والروم ، والبقرة ، والحج ، راحضرات ، ونفردت الواقعة بدعوة الناس إلى التماس فيما يعرفون من منى)

ولسوف يتضح لنا فيما بعد - أن امر - فى هذه المواضع هو (لإنسان) وليس البشر - والآيات الست عشرة تتحدث عن (خلق الإنسان) تارة من نبي ، وأخرى من بطفة ، أو من (بطفة أمشاج) وثالثة (من صين) ، أو

(من سلالة من طين) ، أو (من صلصال من حمأ مسنون) ، أو (من صلصال كالفخار)^(١) .

وتأتي آية سورة الحج (السورة الخامسة بعد المائدة) فتخاطب الناس نصياً وصراحة ، فتقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّفُثَةٍ ۖ ۝ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَهِيَ تَجْمَعُ إِشَارَتَيْنِ إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ التُّرَابُ ، وَإِلَى الْأَصْلِ الْبَدِيلِ ، وَهُوَ النُّفُثَةُ .

و (الناس) : اسم جمع لنبي آدم ، واحده (إنسان) من غير لفه .

القرآن المكي

فإذا تابعنا بناء الصورة التي تأتي لبناؤها في الآيات المكية المتتابعة وجدنا الحديث عن البداية الميثية للإنسان ، وهي (انطق) في السورة الأولى ، ثم تأتي إضافة في السورة السابعة ، تشير إلى ﴿ الَّذِي خَلَقَ نَفْسِي ﴾ ، ثم تأتي لمحة عن المستوى الأخلاقي - في السورة السابعة والعشرين ، فهو قد خَلَقَ أَوَّلًا ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ، ثم ارتد إلى ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ ثم استثنى من هؤلاء السفلة جماعة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، وهي رسالة موجهة إلى معارضي الدعوة والمكذابين بالدين من كفار قريش .

وبعود الوحي إلى بيان أليات الخلق في السورة الثلاثين (القيمة) ، منى بمرحلة تتحول إلى علة تحمل عناصر الذكورة والأنوثة ، بحسب تقدير الله وتصديده للنوع ، وتشير السورة الثانية والثلاثون (المرسلات)

(١) هو صخر - وليس فخاراً ، لأن الفخار هو الطين المعروق ، وكان النشب يندب من حرقه في الدلالة

إلى نفس المعنى ، لكنها تفكر المكان الذي تتم فيه عملية الخلق ، وهو (القرار لمكين) أو (الرحم) .

ثم يأتي الحديث في السورة التالية مباشرة ، وهي الثالثة والثلاثون (ق) ليؤكد حضور الله سبحانه وتعالى في وجود هذا الإنسان ، وهو ملمح تربوي ، يستطرد بعده الوحي في السورة الخامسة والثلاثين (انطرق) ليقرّب أن هذا الخلق العظيم ، (خلق الإنسان) ﴿ خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ يخرج من بين الصلب والترائب (٧) ﴿ [انطرق] ، والصلب : قفار الطهر ، وهي منبع الماء الدافق عند الرجل ، والترائب : جمع .. مفردة تريبة ، وهي عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، وهي منبع ماء المرأة ، وهذه المعلومة كانت مجهولة للإنسان ، وبقيت مجهولة حتى منتصف القرن العشرين ، وقد تضمنها الوحي القرآني منذ أوائل هذا الوحي ، أي ، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً

ثم تأتي لسورة الثامنة والثلاثون (الأعراف) لتتحدث عن الخلق والتصوير ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ، وهما مرحلتان في عمر البشرية ، لهما استغرقتا بضعة ملايين من السنين ، والتصوير هنا يقابل التسوية في مواضع أخرى ، ومع ملاحظة استعمال الأدلة (ثم) اتى تفيد التراخي بين الأمرين ، وهو ما سنفرده له معالجة أخرى

وتنزل في السورة الأربعين (يس) إشارة إلى ما يسبق الخلق ، وهو (النفثة) مرة أخرى ، ولكن يقرب ذلك بالعمى من أن لا يعرف هذا المخلوق قدره في مواجهة خالقه . ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٧) وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) [يس] .

ويواصل الوحي تعريف الإنسان بأصله في أسوره ثمانية ولأربعين (فاطر) فيجمع لأول مرة بين التراب والطفة ، ويصيف آية من ياتيه ، وهي خلق الزوج لئلا يفتقر مع زوجته ، وهو يتابع بعلمه ما يتم بين الأرواح ، وما يترتب عليه من حمل ووضع ، كما يتابع الأعمار - طوية وقصيرة

ثم يساعف التنزيل ذلك الإنسان فيخاطب عقله ودكرته في السورة الثالثة ولأربعين (مريم) ويسأله عن مرحلة ما قبل وجوده . إن كان لديه شيء يذكره غير عدم ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ ، فالآية ترد الإنسان إلى ما سبقه من عدم ، وهو أنصع برهان على أنه محدث بيد القدرة ، وهي إشارة تشبه إلى حد كبير ما استهت به سورة (الإنسان) - لتاسعة والتسعون (المدنية)

ويلى (مريم) في ترتيب النزول (طه) وهي السورة الرابعة ولأربعين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ، وكأنها تدل الإنسان الباحث عن مبدأ خلقه إلى نقطة البداية التي ليس وراءها شيء يذكره مهما حاول

فإننا نظر الإنسان إلى الأرض - ومنها خلقه الأول - أدركه سؤال السورة الخامسة ولأربعين (الواقعة) ليقرب إليه صورة من الحقيقة ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ٩٢

فإذا نظر إلى الأرض لبحث عن أصله فليعلم أن جزءاً من هذه الأرض قمر بني صبا إليه ، وراثت أمه - فلحقب - فيهما - لأرض - فخص فكان ذلك المخلوق الباحث عن الحقيقة ، يحسبها بعيدة - وهي - وفي ما به ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (مدثر)

الإنسان يخرج من البشر

وهنا نأى النص الكريم في سورة الثالثة ولخمسين (الحجر) نريد الإنسان إلى أصل (إنشتر) ﴿ صلصال من حمأ مسنون ﴾ . ولما كان لسياق في السورة يذكر (الإنسان) في مباب (الحار) في آتي الحجر ﴿ ولقد حملنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (الحجر) والجد خلقناه من قبل من نر السوء ﴾ (الحجر) من الحديث عن لأصل التراسي يرتبط عالماً ، إنشتر) وذلك يعود النص إلى الأصل ميقون ﴿ وإذ قال ربك لملائكته إني خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (الحجر) فإذا سويته وضعت فيه من روحى ففعل له ساجدين ﴾ (الحجر)

ويرتبط بين (إنسان) و (الصلصال) سياق تتولى تفسيره الآيات انبئية التي تحدد المرد بالإنسان ، وهو (لبشر)

ويسعى أن ملاحظ أسلوب لقرآن في سوق الحقيقة هـ ، فهو يذكر (إنسان) هكذا معرفاً باعتباره الموضوع الأساسى المقصود بالذكر والمحاط بالآيات ، وهو في مقاس (الحار) المشترك للإنسان في التكليف والمسئولية على هذه الأرض

فإن شرع في سن حقيقة لحظ من البداية ذكر أن هذه البداية كانت في صورة (بشر) هكذا مكرراً باعتباره النموذج الذى أجريت عليه عمليات التسوية والتصوير والفتح من روح الله (أو الترويض بالسلوك) أبعيا إلى أن بها بشر إسماً - وهي العنق واللمعة ، والدين

فقد التسوية لم يكن المخلوق البشرى إنساناً .. بل كان بدايه خلق إنسان في حيز القوة ، قبل أن يكون إنساناً في حيز الفعل .

لم يكن أحيد من الجس أو من الملائكة يعلم شيئاً عن سر ذلك المخلوق
البشرى ، أو عما سيؤول إليه أمره ، فذلك كله كان عيماً في علم الله وحده ،
وهو من اختصاص قدرته التي تابعت تنفيذ المخطط ، وتحقيق السويوت
المطلوبة عبر الأجيال ، كما زودته تلك القدرة العظمى بعوامل التألق حتى
صار البشر الغشيم (إنساناً) صالحاً للتكليف ، وحمل الأمانة الإلهية
وكل ذلك الفرق الهائل بين البشر والإنسان يشي به الاستعصار
القرآنى ، وهو فرق ما بين التعريف والتكثير في هاتين الآيتين من سورة
الحجر .

ههنا أن يكون الأجل الأول أجل الموت ، والآخر . القيامة .
 وإما أن يكون الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت . والثاني ما بين
 الموت إلى البعث (وهو المزمع) ..

الناس الذي يتقصر بقيام الساعة ، وقيل : الأجل الخاص بكل فرد ، والأجل العام وهو عمر الدنيا .

ثم تأتي السورة التاسعة والعشرون (غافر) فشريط لاود مرة بين التراب والنطفة والحلقة ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ عِلَاقًا ﴾ . وهنا يذكر المرحلتين مرحلة الخلق من تراب ، ومرحلة الخلق من نطفة ، وهما مرحلتان منفصلتان في الظاهر ، وقد ربط القرآن بينهما بحرف الترخي (ثم) للتعبير عن المسافة الزمنية بينهما .

بعد ذلك مباشرة من حديث القرآن عن الجنين وأطواره في (القرآن المكيين) وهو رحم الأم ، فحديث سورة (المؤمنون) هو بمثابة الإحالة عن سؤال تَجَمَّعَ عن ذكر الأطوار في سورة نوح .. ما هي هذه الأطوار ؟
 فجاء الرد في السورة الرابعة والسبعين (المؤمنون) ، وذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ، وكان الآية تدفع عن البعد احتمال إدماج العمليتين في عملية واحدة ، فالإنسان خلق من (سلالة) نسلت (من طين) ، أي : إنه لم يخلق مباشرة من الطين ، فاما ابن الطين مباشرة فهو (أول البشر) ، وكان ذلك منذ ملايين السنين .

وهذا المعنى هو الذي عبرت عنه السورة الخامسة والسبعون (السجدة) وهي إضافة مهمة للرد على السؤال المثار عن المقصود بـ (الأصور) في السورة الحادية والسبعين .. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ .. (٩) [السجدة] .

لفق الإنسان (بدأ من طين) ، أي : عند البداية البشرية ، ثم استخرج الله منه نسلاً ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، ثم كانت لتسوية ونفخ الروح ، فكان (الإنسان) هو الشجرة في نهاية المطاف ، عبر تلكم الأطوار التاريخية السحيقة العتيقة

وحسبنا أن نلاحظ هنا ما يشير إلى بعض مراحل التسوية في قوله تعالى في بص سورة السجدة ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ .. (١)﴾ [السجدة] ، فقد تم هذا الجُفَى خلال مراحل التسوية ، وهو ما يفترض أن (البشر) كان في المراحل الأولى لا يسمع ولا يبصر ولا فؤاد (عقل) ، تماماً كما هو حال المولود ، حين يخرج

من بطن أمه . لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل .. لانعدام الحاجة إلى هذه الأدوات في المرحلة الأولى من الوجود ، بكل ما يحتاجه الوليد هو أن تكون له شفتان ، يمص بهما غذاءه من ثدي أمه ، وبعد فترة - وبالتدريج - يبدأ في استخدام عينيه وأذنيه وعقله في التعامل مع ما حوله من عناصر الحياة . وهو قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ .. (٧٨)﴾ [البقر] .

لقد خلق الله البشر أطفالاً أو كالأطفال .. بلا أسمع ولا أبصار ولا عقول ، ثم جعل لهم هذه الأدوات في مراحل التسوية المتطاولة ، حين شاءت القدرة أن تزود هذا المخلوق البشري بما يحتاج إليه من أدوات الكمال .

بيد أن الحديث في السورة الرابعة والسبعين (المؤمنون) لم يقتصر على الإشارة التاريخية السابقة .. بل قدم وصفاً ومتابعة لأطوار تكوين الجنين ، وهو إضافة لم تسبق في أي سياق مكي ، فقال سبحانه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (٣٦) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَرْسَلْنَاهُ خَلْفَ آخِرِ قَتَارِكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٣٧)﴾ [المؤمنون] .

لقد مر النص الكريم بالمراحل المختلفة التي تبدأ بالطفولة وتنتهي بالإنسان ، في هذا الإيجاز المحكم الذي يتضمن حقائق الأطوار في ذلك القرار المكي .. رحم المرأة ، وهكذا عَمَرَ البشر كل الأطوار ، فصار خلقاً آخر - (إنساناً) ، ﴿فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

وقد نلاحظ هنا أن نص (السجدة) يتلاقى مع هذا النص ، مع فارق

الإحمال والتفصيل ، ومع انفراد (المؤمنون) مراحل التكوين اجيبى ، وانفراد (السجدة) بمراحل التكوين الطينى .

ويبقى من الوحي المكي ما ورد في السورة الثانية والثمانين (الانفطار) من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦) الذى خلقك فسواك فعدلك (٧) في أي سورة ما شاء ربك (٨) * [الانفطار]

وأيضاً ما ورد في السورة الرابعة والثمانين (الروم) من قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (١٥) * [الروم] ، وهما تنزيهان وردا في مقام التذكير بقدرته الله ، وهيمته على الإنسان ، ومشيشته المطلقة.. ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَّبُّكَ ﴾ (١٦) (يخلق ما يشاء) ، وتنفرد الآية الاولى بمفهوم قوله : ﴿ فعدلك ﴾ ، وهو معنى خاهر باختيار لصورة التى يظهر بها الإنسان على الأرض ، بين سائر اناس ذوى لصور المختلفة أيضاً ، ولكل مخلوق صورته المتميزة عن سائر اصصور ، وتنفرد الآية اثناوية بذكر الضعف والقوة ، وضابطهما من المشيشة الإلهية ، فلا ضعف إلا بمشيشته ، ولا قوة إلا باختياره وإرادته ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ . وبذلك ينتهى الحديث المكي عن خلق الإنسان .

القرآن المدنى

ثم تاتى المرحلة المدنية ، وتبدأ بالسورة السابعة والثمانين (البقرة) ، فتذكر مرحلة أخرى من مراحل اللحمة الخالدة ، دون أن تذكر (البشر أو الإنسان) .. بل هى تركّز على (آدم) الذى يهيا بوطيفة (الخلاصة) (البقرة ٣٠ وما بعدها) وهو من أجل ذلك معلم من اللغة ما لا نعلمه

الملائكة ، وسيأتى فى ذلك حديث .

وفى السورة الثامنة والتسعين (الرحمن) إشارتان .

أولاهما : إلى علاقة الإنسان باللغة فى مستواه البيانى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ (١) علّمه البيان (٢) * [الرحمن]

وثانيهما : مزيد من التعريف بالصلصال الذى ذكر فى السورة المكبة (الحجر) على أنه ﴿ صَلْصَالٌ مِنْ حَمَإٍ مُسْتَوْسٍ ﴾ ، فتصفه بأنه ﴿ صَلْصَالٌ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، وذلك فى مقابل أن الجان خلقوا ﴿ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾ ، كما سبق أن قابل (انعم المسنون) بـ (نار السموم) فى سورة الحجر أيضاً ، وللتكرار هنا فائدة هى مزيد من التعريف بطبيعة المادة التى هى أصل الحق ، وهى (الطين للآزب) كما جاء فى الصافات .

وتبقى فى المرحلة المدنية إشارة سورة (الإنسان) ، وهى السورة التاسعة والتسعون . وقد جاءت فى قوله تعالى ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ إِنَّ هَلْ مِنْ الدَّهْرِ لَمُحَسَّنًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ (١) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّتَبَّئُهُ فَبِجَنَّتَاهُ سَمِيعًا بِصِيرًا ﴾ (٢) * [الإنسان]

وهو كما نرى نص يضيف وصفاً تحليلياً لنطفة ، فالأمشاج تطلق على الخلايا الذكرية ، كالحويان الموى ، وتطلق على الخلايا الانثوية ، كالبيضة أو البويضات ، قبل أن تندمجا لتكوين اللاقحة (وهى لبويضة الملقحة) التى تكون الجنين^(١) ، والإنسان خليط من هذه الخلايا ، أو الأمشاج ، وهى حقيقة لم تذكر من قبل فى أى سياق ، إلا ما جاء إشارة عامة عن

(١) انعم الوصف مشج

(الماء الدافق) ، و (الماء الدافق) من الصلْب والتراب .

وأخيراً تأتي السورة الخامسة بعد المائة - (الحج) - بتدعيم استقراء البهائم عن قصة الخلق في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْءٍ ثُمَّ مِّنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [تج]]

وهي آية تتضمن تفاصيل مهمة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمضغة ، فليست كل مضغة تتحول جنيناً .. بل قد تكون مخلقة - وقد تكون غير مخلقة ، وكذلك فيما يتعلق بحياة الإنسان طفلاً ، فينبأ وقد يحين موته أجلاً ، وقد تمتد به الحياة إلى أرذل العمر ، وهي حقائق سبق الإيماء إليها في سورة (غافر : ٦١) ، ولكنها جاءت هنا في خاتمة التقرير عن إمكان البعث ، ودفع الريب فيه من العقول والقلوب ، وتلك هي الغاية التي سبقت من أجلها كل هذه النصوص عن (خلق البشر - الإنسان)

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَبِّرُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [تج]]

وأخيراً ، يختتم الوحي حديثه بخطاب عام موجه إلى (الإنسانيات) جمعاء ، من كل الألوان ، والأجناس ، والأصناف ، تحقيقاً لعزم برسله ، وتأكيداً لمبدأ المساواة المطلقة بين جميع الناس ، وإعلاناً لمقعدة الإنسية

التي سيتم على أسسها محاسبة الصلّاق يوم موقف العظيم .. جاء ذلك في سورة الحجرات ، وهي السورة الثامنة بعد المائة ، في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ [الحجرات]]

إن هذا البيان الإلهي تداه إلى جميع (الناس) يذكرهم بوحدة الأصل ، فهم جميعاً قد نسلوا من ذكر وأنثى ، هما آدم وزوجه حواء ، باعتبارهما أول من تالقت فيه صفات (الإنسان) من سلالات البشر ، ولا التفات إلى ما سبقهما من السلالات والأجيال ، فهم في الواقع لمنبع الذي تدفقت منه جماعات (الناس) على هذه الأرض ، من بني آدم .. أي : من ظهره ، وقد جعلهم الله شعوباً وقبائل ، فهم أصل واحد ، ووجود متنوع ، وعليهم - وقد أدركوا هذه الحقيقة - أن يتعارفوا بحكم ما بينهم من قرابة ، فلا فضل لأحد منهم على غيره من شركائه في الأصل بأي اعتبار مادي ، وإنما يتفاضلون عند الله بالتزامهم لأوامره ، واجتنابهم لمخارمه ، وطاعتهم المطلقة له ، وبعبارة أوضح : بالأا يأكلوا من الشجرة التي حرمها عليهم : شجرة العصية التي حرمت على أبييهم في الجنة ، وهي محرمة عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

الفصل الثامن

الطريق إلى الحق

ملاحظات على العلاقة بين البشر والإنسان :

حقيقة لا ريب لدينا فيها : هي أن بين (البشر والإنسان) عمومًا وخصوصًا مطلقًا ، فـ (البشر) لفظ عام في كل مخلوق ظهر على سطح الأرض ، يسير على قدمين ، منتصب القامة ، ر (الإنسان) لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفًا بمعرفة الله وعبادته ، فكل إنسان بشر ، وليس كل بشر إنسانًا . والقصود هو حبعًا لمعنى الأول الذي استعملت فيه الكلمة (بشر) في آيات القرآن ، وهو لظهور أو لتحرك مع حسن وجمال .

وقد جاءت في القرآن كلمة أعم من : ابشر والإنسان ، وهي كلمة (الأنام) ، وتعني كل مخلوق على ظهر الأرض عاقلًا أو غير عاقل ، وإن كان المفسرون يرون أن الكلمة تعني في قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن] : الجن والإنس . وهما اسقلان الخاطيان ، كما هو وارد في هذه السورة المدنية .

وحاء أيضًا في سورة (النينة) ، وهي سورة مدنية ، وهي السورة الحادية بعد المائة فزولاً - إطلاق لعدة (ابرة) عسى (الخلق) ، والجمع برايا ، قال الله سبحانه وتعالى في وصف الكافرين والمشركين

﴿أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البقرة: ٥٢] ، وقال في وصف المؤمنين

﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البقرة: ١٧٧]

ومستطیع أن نقرر مع علماء الإنسان (الأنثروبولوجيين) أن الأرض عرفت هذا الحق انذى ظهر على سطحها منذ ملايين السنين تختلف في تقديرات العلم باختلاف عمر الأحافير ، وبناج البحيلات العلمية وقد أطلق العلماء على هذا المخلوق خطأ أو تجاوزاً لقب : (إنسن) ، وقالوا إنسان بكين ، أو إنسان جساوة ، أو إنسان كينيا ، أو ما سوى ذلك من الإطلاقات التي تعنى مراحل تكوين (البشر) بمطابق القرآن . واستخدم كلمة (إنسان) في وصف هؤلاء ليس إلا عنى سهيل اتوسع ، كم استخدمت كلمة (بشر) للدلالة على معنى (الإنسان) فوسعاً أيضاً ولا فاللفظ الدقيق بلغة القرآن ، والذي ينحى أن يستخدم في تسمية تلك المخلوقات العتيقة التي تدل عيها الأحافير - هو (البشر) . واجب أن يقل - بشر بكين ، وبشر حاوة ، وبشر كينيا ، وبشر النياندارتال .

أما (الإنسان) فلا يطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك مخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير ، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه سلام . وأدم - على هذا - هو (أبو الإنسان) ، وليس (أبو البشر) ، ولا علاقة بين آدم والبشر الذين يادوا قبله ، تمهيداً لظهور ذلك النسل الأرمي الجدد .

ولأمر ما وحدا أن القرآن لا يخاطب «بشر» بل يخاطب الإنسان والكنه الذي يحوط بصفة (الإنسانية) ، لا بصفة (انشورية) . فم يعد للبشر القديم وجود منذ ظهر آدم عليه السلام ، وبسنت مرت وورث الأرض وما عيها

ولأمر ما أيضاً وحدا أن كلمة (البشر) جادة لا تتصرف ، اللهم إلا بالثنائية والجمع في قليل الاستعمال . على عين أن كلمة (إنسان) متصرفة مربة . وردت في القرآن بصور مختلفة ، وهي مفرد ، جمعه أناسين ، وأناسي . وقد استعمل مصعراً فليل أنسيان ، والإنس اسم جماعة الناس ، والجمع أناس . وبواحد إنسي

والناس اسم جمع من النوس ، وهو الحركة واحده إنسان من غير لفظه . ويقال للمرأة إنسان . ولا يقال إنسانة ، وإن شاعت على السنة العامة . وكل ذلك أكسب الكلمة مرونة في استعمال

وليس يعد أن مفترض أن احاطق سبحانه - وقد مصت مشيئته بتقرر آدم ودريته بالسيادة على الأرض ، واليهوص بأمر اديين ، وإقامة التكالييف . وفي مقدمتها لتوحيد - قَدَّرَ سَنَاحَه فذء كل انبشر . من غير ولد آدم . وذلك بعد عزل السلالة الجديدة المنتقاة في الجنة ، حتى تتم إبادة جماعات الهمج لبشرية . لتبدأ بعد ذلك السحمة لإنسانية ، بطليعتها لمصطفاة آدم وحواء ، وبدأ التكليف داخل الحة . وبدأ الصراع بعد أن احبيب ساحتها من العناصر الطفيلية التي لم يعد لها دور . بل انتهى دورها ليبدأ على الأرض دور حديد . لكن كيف بدأ هذا الدور ؟ أو كيف استهل ذلك العهد ؟

دلت ما لا سسين إلى تصويره . لا من خلال النظمات المحددة ولا دور ايضاً بحيان في رسم صورته إلا من خلال إيما انطبق معالمه . فلكم مشهد عيى تم قبل ارمان الإنساني ارمان نهى ، حين ما يكون الكور مكان . كن كل ما كن وكل ما يكون

هون الرومان ، بعد أن ينتهي هذا لرمز ، فيبدأ للوجود تقويم رمزي آخر
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ .

حيث أن أمر الله سبحانه كل الرازي التي قدر أن تخرج من صلب آدم
وَصَلَابَ بَنِيهِ - أمره أن تخرج على ساحة العبد وأن تفتل بين يديه
كأن أيداك محدد درات لا يحصيها ولا يحصرها حد إلا علم الله وحده
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [التك] و ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [٢٤]
وَكَلِمَةٍ أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدٌ﴾ [مريم]

وأسرعت الدرات بالثبوت أمام الحلال الإنسي وألقى الله - سبحانه -
على المشهد المنظر مؤد واحدا هو الذي من أمله كانت الدعوة إلى
الحضور

قال الله أنست بركم .

وتلقوا لسؤال ووعود فقالوا جميعاً في صوت واحد بلى شهد
وقد الله مبيناً للحكمة من هذا المشهد ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَذَا عَاهِينَ﴾ (٧٢) أَرَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ
أَفْتَلْكَأَمْ هَلْ لَمْ يُظَلِّمْ

الأنص القرآني بروء حكاية هذا المشهد لكوني ابرهيب . هو بطل
من انبياء وكتبه ر - كبر المؤمنين به . وإذ أحد ربك من حي آدم من
ظهورهم ذريتهم وأشبههم على أنفسهم . ﴿[٧٢]﴾ [الاعراف]

ولا ريب أن سحر كل رمي ، وكتابه لدى سيقدم بيه يوم القيمة
سوف يكون مستهلاً بصورة من هذا المشهد تبين موقعه من
حضوره هذا السقاء وثبتت وجوده وشهادته على نفسه بالقرار

بعبوديته لله إلهاً ، رباً وحاكماً وستكون هذه الصورة هي سحر
الاول أو اسبق لرمزي في محاكمه كل آدمي يوم القيامة : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ كَيْفَ
بُفِّسَكُمُ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ حَسَبًا﴾ [٢٥] [الاسراء]

مكدا بدأ العهد الآدمي في مهمة الحقيقة وهكذا كان الدين ودينه
نقطة البداية في رحلة الإنسان نحو الموعد موعد اللقاء مع الله - عز
يسير بين حدين متوربين ، حدار المسئولية الجماعية في الدنيا وحدار
المسئولية الفردية في الآخرة وبهذا حثف الأسرار عن البشر

من اسير بتصميم تكليف تحصى (الإنسان) باعتباره فرداً كم يحصى
(الأس) باعتباره مجتمعا وليس هذا اشتقاق بين الفرد والمجتمع
وإنما هي علاقة كمال (٢٠١ ر ٢٠٢) هي إطار (٢٠١ ر ٢٠٢) لا غريز
ليس المستويات أو الاسماء ، فنحن أن الحشر عر هو شيئاً اسمه
(لغة) وهو أمر عر بعيد لأنهم كانوا مجتمعاً حيوانياً كل عر فيه
ككل فرد . وكل فرد بمثابة أمة حمعة ، لا عتار بل فرقة الفردية

قد كان (الشعر) حلال لأحقاق والعبود المتطورة مجرد مخلوقات
متحركة حيوانية لسوء وكنها تزداد في كل مرحلة تعدل في
سلوكها ، وبصحا في حيرتها ، وتلونا في طرائق لتفاهم بلعوى فيم
بينها وبيننا كبر في هو المقصود بسؤال الملائكة للرب . حل وعلا
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة] هو
لوقع هذا في سمعت للملائكة من اختلافها
اسو حشيش

وطيني أن سر كذا أن بر من في هذا الجار

السنة كالسنة ، واللف سنة ، أو حتى مليون سنة - كيوم واحد ، لا معنى لبدايته أو نهايته ، ولا وظيفة له وقد عدم موضوعه ، ومن المعروف أن بعض الكائنات التي عاشت في الكهوف المظلمة فقدت قدرتها على الإبصار ، إذ كانت الحياة بالنسبة إليها ظلاماً في ظلام

وقد عشنا في حياتنا تجربة تقرب إلينا هذا المعنى ، حير سائقنا الظروف التعيسة إلى محبس (زنزانة) هي الاعتقال السياسي (عام ١٩٥٥) .. كانت زنزانة مظلمة .. لم تكن ندرى فيها مرور الأيام ، ولا حدود الشهور ، فقد تساوى الليل والنهار ، وضاعت المعالم والآثار .

وبين أيدينا شواهد قرآنية على صراخ ما نذهب إليه . ذلك أن قصة الحق التي جاءت في سورة (صر) تعطينا الإشارة الأولى إلى الدليل على تمادى العهود التي عاشتها البشرية في ظلام الزمان السحيق ، أو في زنزانة ذلك الزمن .. يقول الله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سُوِّيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ [ص] . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن عدا (البشر) هو (آدم) عليه السلام ، وأن الله سبحانه وتعالى كَفَّ بعض ملائكته أن يجمدوا له من تراب الأرض ، من جميع أخلاطه وأنواعه كما ذكرت الروايات الواردة في أسطوري ، تفلاً عن الإسرائيليات . ونفخ عنه من جاء بعده ، وأن الله خلق هذا البشر ، وسواه ، ونفخ فيه من روحه ، فكان آدم الذي أسجدت له ملائكة

والواقع الذي عَيَّرت عنه الآبائنا - في سطرنا - هو أن الله سبحانه خلق (أو أرا . خلق) البشر من الطين . وأخبر ملائكته بهذا الخبر ، أو الإرادة

العلوية : ﴿ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا ﴾ . وهذه هي المرحلة الأولى في بداية الخلق الإلهي . وكلمة (البشر) هنا لا تعني فرداً واحداً ، بل هي - بحسب الأصل - تطلق على أكثر من واحد ، لدالتها على الجنس ، وقد حدد القرآن الصورة الأولى لخلق الكائنات بأنها خلقت أرواحاً ، فقال سبحانه ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) ﴾ [النبأ] . وذلك انطلاقاً من الأرض ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا (٧) ﴾ [نوح] . فمن الأرض كان انطلاق الحياة في شكل أزواج متنوعة ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ [الذاريات] ﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .. ﴾ [الرعد]

البرهان اللغوي

وتأتي بعد ذلك مرحلتان في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا سُوِّيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ وهي آية مصدرة بأداة ظرفية زمانية هي (إذا) ، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان ، ويمكن أن يكون هذا الزمان لحظة ، كما يمكن أن يكون دهنراً طويلاً ، والقدرة التي تنجز هذا المخلق هي لقدرة التي نقول للشئ (كن فيكون) . أي : القدرة الكُنْيَةُ التي لا يحكمها الزمان ولا المكان - بل هي التي خلقت الزمان والمكان ، ونحسب أن استخدام (إذا) في هذا السياق لا يبعد عن أن يراد به ملايين لسنين بحسب الزمان الدنيوي ، وإن كانت هذه الملايين لا تعدو أن تكون أياماً معدودة في حساب الزمن الإلهي ، كما أنها حوت مجرد كتلة في ظلام دائم ، لم تلمع خلاله أشعة العقل ، ولا أضواء المعرفة

وقد استخدمت (إذا) في القرآن للدلالة على المستقبل القريب والمستقبل البعيد سواء ، غقوله تعالى ، ﴿ وَرَبِّكَ قِيلَ لَهُمْ رَكْعُوا لَا يَرْكَعُونَ

(١٨) ﴿إِذَا تَرَدَّدَ﴾ لا تريد فيه مساحه (بدا) الرمبية على لحظه ينطق فيها الامر (اركعوا) ولكن قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَحَدُ الْأَرْضِ زَحْرَهَا وَارَبَ﴾ (١٩) تحدد فيه المساحة إلى زمان غير معلوم، وكذلك في الآيات

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (٢٠) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفُصَرَتْ﴾ (٢١) ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٢٢) ﴿وَإِذَا الْبُحُورُ شَفَّتْ﴾ (٢٣) [الحاقة] .. تترحب في هذه الآيات مساحه الطرف إلى ما شاء الله ، وهو استعمال قرآني مستقبلي .. تحسب أبعاده بالسمين بعروفة لنا ، فاما إذا عبرت عن المستقبل في داخل الخاص السحب فتلك هي مشكلة اني يستحيل حساب ومن هذا الخبير تاني () في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ طرفاً رمبي تعبيراً عن إرادة أولية تمضي في تحقيق عبر ملايين السنين تسوي - المحقوق ، وهو حسن (البشر) ، ثم ترويه بفتح - الروحانية لذكر سجد (الإنسان) لدى تسجده ملائكة الإنسان - يدخل بوقت رسم ، ويبدأ حضوره وحضرته .

ومعنى ذلك أن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هائلة ، هي (الخلق ، والتسوية ، والفتح) ومن السذاجة أن نفسر هذا الفتح بأنه بث الروح في الحسد - عند ذلك في مرحلة (الخلق) الأولى ، التي أحاطت لتروا أو الطين إلى مخلوق ظاهر (بشر) يتحرك على الأرض بالروح الحيواني كمن يحرك سائر الكائنات من حشر ، وصور وحيران ثم تحولت إلى روح في المرحلة الثانية (بالتسوية) أو ما يمكن تشبيهه به - وبحميله ، وهي مرحلة التعديل المادي أو المذهبي وقد استغرقت من الزمن السنين - مع تفاصيلها ، ثم جاءت المرحلة الثانية للمرحلة الداخلية ، وهي المرحلة في تزويد المخلوق السوي

بالملاكات والقنرات العلماء ، التي جوهرها (العقل) ، والحياة الاجتماعية ثمرة العقل ، واللغة وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع من اعتلاء ، وبذلك اكتمل بناء (الإنسان) ، فكان (آدم) هو أول (إنسان) ، وطليلة سلالة التكليف بتوحيد الله وعبادته .

ومما يستدل به على هذه المراحل وتكاملها استعمال القرآن لأداة التراخي (ثم) في ربط أجزاء الجملة في سورة السجدة ، مثلاً في قوله تعالى ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (١) ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢) ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ﴾ (٣) [السجدة] ، والأداة (ثم) للترتيب مع التراخي ، وكان استعمالها في هذا السياق ترجمة لمفهوم الزمن المتطاوّل الذي عبر عنه الطرف (إذا) ، في مقابل استخدام الفاء أو الواو في ربط أجزاء أخرى من الآيات ، تعبيراً عن التعقيب أو مطلق الجمع^(١)

بل إن هذا التراخي ينجلي في سورة (المؤمنين) في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (١) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْسًا فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (٢) ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (٣) [المؤمنين] ، ولنتأمل استعمال (ثم) في الآيات - بجانب استعمال (الفاء) ، فبين (الحق) من الطين و (الجعل) ﴿نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ - مسافة زمنية ، لا يعبرها ، لا الله ، استغرقتها عمليات التسوية ، وهذا (الجعل) تعبير عن جانب من استكمال (الخلق) ، ثم تكون النطفة علق ، ومن تقدير ذلك تم في زمان متطاوّل أيضاً .

(١) التقيد بتعبير عن أربع آيات بعضها في إثر بعض دون تبيين من الزمن ، وهو وضعة (الفاء) ومطلق الجمع هو وضيف (واو) فهي لا تقدم ترتيباً ولا تعقلاً

ونذكر الآية بعد ذلك عمليات تخطيط الجدير ، وهي عمسات متتابعة لا يمحى بينها سوى أشهر أو أيام معدودات ومن قصير مسياً بين العتمة والمضجع وبين مصفة العظام وبين العظام واسم ذلك كله معطوف بالغاء ، ويعود السياق بعد ذلك إلى استخدام (ثم) لتعبير عن طور انقطة الرمية بين ما سبق وما سوف يأتي بعد **فَلَمْ أَفْشَأْ أَنَا خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** . والمعنى التاريخي لإنشاء هذا الخلق هو انتقاله من البشر إلى الإنسان وهو خلق آخر فعلاً ، إلى جانب احتمال أن يكون المراد هو المولود الجديد

ويعمى السياق منتزماً بنفس الإيقاع البطر **﴿ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَتُونَ﴾** (٩) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون **﴿إِذْ يُنْفَخُ﴾** [الزمر] فقد عبرت (ثم) في الآيتين لأحيرتين عن زمن طويل هو في ذاته الأولى (عمر الإنسان) الذي يعيشه حتى الموت ، الذي يصح بهية للحياة المقدورة بذلك الكائن وهو في الآية الثانية مدة ما بيننا وبين القيمة والبعث

ولنقرأ أخيراً آية الأعراف ، قوله تعالى **﴿وَعَدُ خَلْقًا كُفَّ بَعْضُهُمْ صَوَابًا كُفَّ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾** [الأعراف] وهي آية تعبر عن مرحلتين هما (لخلق والتصوير) ، ويهدف ههنا تصور آدم ذاته تعبر عنها الأداة (ثم) ويعطى القرآن خطاب الله سبحانه للملائكة باستخدام (ثم) ، وهو في رأينا يعبر عن أن الأمر بالاسجود لم يكن بعد مرحلة تصوير مباشرة ، وهو ما يعني مرحلة التسوية بل جاءت قبله مرحلة لبس من روح الله ، وقد أوماً لبس استخدام (ثم) في صدر الحجة **﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾** [البقرة] يصرح به أنه لا سجود إلا لمن روى روح الله

وبزعم ذلك قد يعبر النص لقرآني عما شأنه التواخي - بالفاء - غير

يصنعها معنى (ثم) ، أو بتعبير أدق يوظفها في موقع (ثم) كما جاء في قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرُوكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾** (٦) الذي خلقتك فسوئك بذلك (٧) في أي صورة ما شاء ركبك **﴿إِنشأ﴾** [الأنعام] ، وقد يسوع هذا النصين أن مخاطب - وهو الإنسان - لا يرى في ذاته سوى مخلوق مكتمل ، حقاً وتسوية وعدلاً ، فهو يرى اندماج هذه المراحل في ذاته ، ولذلك لاق أن يصير (لقاء) معنى (ثم) استراخية

وقد يفسر هذه المراحل في سورة الانعطار على أنها خاصة بأحوال الجنين في بطن أمه ، كما يقول الإمام القرطبي (**خَلَقَكَ** أي قدر خَلَقَكَ من مصفة فسوأك في بطن أمك ، وجعل لك يدين ورجلين وعيين رسائر أعصاك فعدلك أي جعلك معتدلاً سوى الحق وقرأ الكوفيون عصم وحصرة والكسائي فعدلك محققاً ، أي أمالك رصرت إلى أي صورة شاء إما حسناً وإما سيئاً وإما طويلاً وإما قصيراً)

ونستد مع هذا التوجيه ، مع أنه يحل مشكلة التواخي مع الغاء لأن لاسلوب انقراضى درج على استخدام كلمات اخلق والتسوية واتسج - خاصة بأحوال البشر منذ وجدوا ، إلى أن صار البشر سوياً أي بساباً اصطفاة الله - وماذا به تحقيق رسالة العبودية لله رب العالمين

تري ، كم من لأحيال انشورية لزم بعميتي التسوية ، والنفع حتى كان آدم ذلك الإنسان الكامل انطاق ^{١١}

لا نالغ إلا قلنا إن ذلك يقتضى ثبات الأنوف من الأحيال وقد سحر كل حيل يصمته تغميرة على طريق الاكتفاء لا سيما في محال العقل واللسان ، والحمد لله

الفصل التاسع

بوهان النكرار

الإنسان مرة أخرى

وضح لنا مما سبق أن (الإنسان) هو المقصود من لتكليف ادينى ، وأن (البشر) وهم طلائع الخليقة ، لا مكان لهم فى عالمنا ، لأنهم بادوا ، ودرست آثارهم ، فلم تبق منهم سوى أحاديث وأحافير تدل على أنهم كانوا موجودين ، منذ عصور جيولوجية متقدمة ، فلما قصت إرادة الله بإيجاد هذا الحلق الإنسانى - قدر خلق آدم ، وهو مستوى، خاص جداً من (البشر) ، مزود بأدوات كاملة من العقل واللغة والاعطفية ، وملكات الإدراك والضمير ، والإرادة ، والاستعدادات الفطرية والفريزية ، لتفرقة بين الخير والشر ، وكل ذلك ثمرة من ثمرات النفخة الإلهية التى أدم الله بها خلقه ، وهىءه ليعيش فى ضوء المعايير الدينية التى أرسى بها الأنبياء ، منذ آدم إلى محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران]

ومعنى ذلك أن النوع البشرى قد انقضى ليحل محله رتبة أرقى هى رتبة (الإنسان) باعتباره الطور الحسى من أطوار البشر ، والجيل المختار للمسيرة الجديدة على طريق التوحيد ومعرفة الله ثم تطبق على

بوهان النكرار

لله هذه الرتبة هو آدم

ولقد نجد في القرآن دليلاً قاطعاً على صحة هذا المذهب حين نجد معتقياً بالإنسان متابعاً لوصف كل أحواله ، في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، على حين أنه لم يذكر (البشر) بوصف واحد ، وهو سلوك راضع الدلالة على صدق التفرقة بين المستويين ، ولننظر الآن إلى نصوص القرآن الواردة بشأن الإنسان ، بحسب ورودها في ترتيب المصحف

قال تعالى

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء]

١ - ﴿ وَرَدَ مِنَ الْإِنْسَانِ الضَّرُّ دَعَاءُ لِحَبِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَانِدًا لَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ وَوَدَّ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى ضَرْفِهِ كَمَا كَانَتْ رِيَسُ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف]

٢ - ﴿ وَلَمَّا آتَاكُمُ الْإِنْسَانُ مَا رَغَبَ مِنْهُ فَأَعْيَاهُ مِنْهُ لِيَلْجَأَ إِلَى كُفُورٍ ﴾ [مؤ]

٣ - ﴿ إِنَّ الشَّعْرَ لِلْإِنْسَانِ عَذْرٌ مُسِيءٌ ﴾ [يوسف]

٤ - ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَنَارٌ ﴾ [برسم]

٥ - ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [سج]

٦ - ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [سج]

٧ - ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴾ [سج]

٨ - ﴿ وَإِذَا نَعَّمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَتَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ امْتِحَانٌ كَانَ يَتُوبَ ﴾ [سج]

٩ - ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [إسراء]

١٠ - ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف]

١١ - ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ .. ﴾ [أنبياء]

١٢ - ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ [سج]

١٣ - ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾ [مؤمن]

١٤ - ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُلًا ﴾ [الحج]

١٥ - ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس]

١٦ - ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْرٌ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ آدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ .. ﴾ [الزمر]

١٧ - ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْرٌ دَعَا نُمًّا إِذَا خَوَّلَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ بَشْعَةٌ .. ﴾ [الزمر]

١٨ - ﴿ لَا يَأْمُرُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ قَنُوطًا ﴾ [فصلت]

١٩ - ﴿ وَإِذَا نَعَّمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَتَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُوعًا عَرِبِيًّا ﴾ [فصلت]

٢٠ - ﴿ إِنَّ نَافِثَتَهُمْ سَيِّئَةٌ يَغْتُمُّ بِهَا قَدَمَتَايَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُفُورٌ ﴾ [تيسر]

٢١ - ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ خِرَاءً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ [الحج]

٢٣ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١) إِذَا مَسَّهُ لَشْرٌ خِرُّوعًا (٢) وَإِذَا سَهُ
الْحَيْرُ هَلُوعًا (٣)﴾ [معارف]

٢٠ ﴿يَلِ الْإِنْسَانُ عَمَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةً (١)﴾ [نفس]

٢١ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٠)﴾ [الفرد]

٢٦ ﴿قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْثَرُ (٧)﴾ [عبر]

٢٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ تَكْرِيمًا (١)﴾ [خطار]

٢٨ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فُتْلًا نَّه (١)﴾ [الاندو]

٢٩ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (١)﴾ [البد]

٢ - ﴿لَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (١) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ
سَافِلٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٣)﴾ [ـ]

٢١ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (١)﴾ [نحو]

٣٢ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَدُودٌ (١) رَبُّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّ رَبَّ
الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)﴾ [الد]

٢٢ ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (٢)﴾ [العصر]

هو في المواضع التي ذكر فيها (الإنسان) غير مقرر بصفات
محمدة من الخير وسر عود ولصعب والذمير كغيره
والذي والعم والحب وهو واحد في عرفنا محدود وغير
محدود سبب دانتنا في سبب هذا كغيره

عز حسن أن يعرف أنه سكر البشر شيء من غيره مع

كلمة (بشر) وردت في القرآن مفردة ثلاثين مرة ، ثم ذكرت مثله
مرة واحدة ، أم (الإنسان) فقد ورد بقطعه في القرآن اثنتين وستين مرة ،
بالإضافة إلى ورود بقطعة (الإنس) سبع عشرة مرة ، وحاءت لفظة
(أناس) سبع مرات ، ولفظة (ناس) مائتين وأربعاً وثلاثين مرة ،
ولفظة ، أنسى ، مرة واحدة ، فمجموع ورود لفظ الإنسان وأمثاله
ثلاثمائة وإحدى وعشرين مرة

هذا عما أن (الإنس) قد حوطينوا على انقراض لقب (بشر) ، وأن
ذلك قد جاء سبع مرات في القرآن ، إذا علمت ذلك كله ، نؤكد بديد أن
(الإنس) هو المرحلة الأخيرة والحاسمة في تاريخ الحياة على الأرض ،
وأن وجود ، البشر ، هنا كان بمثابة المراحل التحضيرية لكم المخلوق
الذي قصى على الأرض ملايين السنين من عو مل القسوة ، وتحصيل
خواص الجبال ، والكس ، بروح من الله الذي قدس به أن يكون سيد
لكون ، حتى صار حديراً بال يحمل أمانة الله على هذه الأرض ، ويتفرد
بب من دون السموات والأرض والجبال جميعاً ، فكأن قوله تعالى
بشأنه ﴿يَا عَرِضًا أَلَمَانَةً عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّهَا أَنْ يَحْمِلَهَا
وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ بِهِ كَانَتْ ظُلُمًا حَمِيلًا (٣٢)﴾ [الأحرار]

لقد جعلت هذه التفرقة على أحيال العلماء من قبل سواء في ذلك
القدماء والمحدثون بعد أن طعن صوفان الإسرائيليات وأصبحت المصدر
اليوحيد للحديث عن العلم القديم ، حتى تصور العنمايور
وأحلاسهم وشبهاتهم أن الذين مدعوا بلعم في هذه القصص التحضيرية
وأن الذين لا يمتد سوى بعض لفصوص الأسطورية وبعض بتصورات
لخرافية وأن الذين يدعون بذلك يقف أمام حائط مسدود يجب تحويره للحاق
بركب العلم والتقدم

وها نحن أولاء نجد الدين في بصوصه الحق (القرآن) يسبق العلم سبقاً بعيداً ، ويحدد هوية الحياة على الأرض تحديداً لا ينصادم مع العقل والرؤية العلمية اللاحقة .. بل إنه يتوافق مع الحقائق العلمية ، ويدعو إلى الاعتماد عليها في فهم قضية (بدء الخليقة) ، كما سبق أن قرأنا ذلك في آية سورة العنكبوت : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ ﴾ [العنكبوت] ، وبذلك يكون العلم بياناً لنصوص القرآن فيف توصل إليه من حقائق ، كما أنه في طريقه إلى موافقة القرآن في كل ما قرر من نظريات تحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق

آدم أبو الإنسان

هل آن الاوان لنجيب عن السؤال الذي طرحناه من قبل ، وهو : هل كان وجود هذه الخليقة البشرية شيئاً واحداً في الأرض .. ارادته القدرة الإلهية ، وتابعته في مراحلها المتعاقبة ، وسارت به حتى انتهى إلى آدم عليه السلام ؟ أم كان وجود الخليقة في صورة مجموعة من الأشكال المتنوعة أو المتقاطرة على الساحة الأرضية عبر الوجود الزمني الهائل ، وكان آدم أحد هذه الأشياء .

إننا نبادر إلى نفي الشك الثاني من السؤال نعيها قطعاً لأسباب تفرض نفسها : أن البشرية تعنى في المفهوم الديني اقرآني جنساً واحداً ، لا عدة أجناس مقتبس بعضها من بعض على ما قررته النظرية الداروينية التي أسقطها العلماء في الشرق والغرب على السواء

وقد تميزت هذه الخليقة مصعبت ثابته في كل المراحل .. مشتركة بين أفرادها وأجنادها .. مختلفة عما عرفت به أحباس الحقائق الأخرى من

خصائص وميزات وصفات ، وهو ما يعنيه قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ نَظْيِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ ﴾ [الزمر] ، والعلم يؤكد صدق هذه الآية بتقريره أن البشر منذ وجدوا كانوا يسيرون منتصبين للقامة ، بعكس الأجناس الأخرى ، والاختلاف في هذه الخاصية يعنى تعدد أجناس الخلق ، وهو الحقيقة المقررة حتى الآن فيما نشاهد من أصناف الخلق ، ما ذق منها وما جل

ثم إن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة أن لا أنه ﴿ خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ ، وأن هذا البشر سوف يتعرض للتسوية والتعديل في أطوار تطبعه ، حتى يكتمل ، حينئذ يتعين على الملائكة أن تسجد له ، فلو تعددت الأنواع الخلقية لما تقررت حكمة خالق في أمره بالسجود لهذا المخلوق بالذات ، دون غيره من أجناس لخلق الأخرى ، فهو متعين منذ كان طيناً ، لم يخف أمره على ملائكة الرحمن ، وهي تتابع ما يطرا عليه من تغير وتنام عبر الدهور ، حتى أصبح بشراً سوياً .. أي : إنساناً متكاملأ ، هو آدم عليه السلام ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٧٦) إِلَّا إِبْلِيسَ .. (٧٧) ﴿ [مر]

إن منصوص القرآن ومفهومه يؤكدان وحدة الخلق البشري الذي بدأ بأول بشر خلق من طين ، ﴿ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مُهِينٍ ﴾ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ .. (٩) ﴿ [السجدة] . ولا مانع من نظرنا من أن نتصور البشر الأول بلا وظيفة سمع ولا بصر ، ولا فؤاد ، ثم كان ذلك في مراحل مختلفة على طريق استكمال مقومات هذا المخلوق البشري ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ (١٠)

(١٠) يجب أن نلاحظ الفرق بين سطق وهو الإيجاد من عدم ، والجعل وهو تشكيل محصلة من أداء وظيفته

وقد سقت الإشارة إلى مغرى هذه المرحلة ، واللغة من أخطر مقومات هذا الخلق ، ويبدو أنها بلغت درجة من الكمال فى المرحلة الآدمية الحاسمة ، حتى تفوق آدم على الملائكة فى أول اختبار

لقد كانت ملحمة هائلة ، تلك التى استغرقها خلق البشر وتكوينه وترويضه بالملكات العليا التى أصبح بها (إنساناً) تتألق فيه كمالات النبوة فاختاره الله واصطفاه كما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ .. ﴾ (٣٣) [آل عمران] . فصار آدم نبياً ، كما قال سبحانه : ﴿ تَمَّ اجْتِبَاءُ رِبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (٣٤) ﴾ [البقرة]

لقد استغرقت هذه الملحمة - كما سبق أن قلنا ملايين السنين ، ولكنها مرت ظلاماً فى ظلام ، أو : غيباً فى غيب ، حتى أن الله للصباح أن ينبثق - فأشرق الإنسان من سلالة البشر ، واكتمل الخلق ، وجاء آدم !!

ليس غريباً أن نتصور - بناء على هذا - أن آدم جاء مولوداً لأبوين^(١) ، وأن حواء جاءت كذلك ، على الرغم مما سوف يلقى هذا التصور من معارضة قلقائية ، ورفض عنيف !! وبلا تفكير !!

إن هذا التصور لا يتصادم فى رأينا مع حقيقة خلق الإنسان من طين ، ذلك أن الخلق الذى بدأ منذ ملايين السنين بالجسد الطينى - كان هدفه النبأى والوحيد خلق (آدم) وكل ما مضى من أحداث بين التاريخيين - إلى كسر ثمة تاريخ - إنما هو وقائع بناء جسد آدم ، وعقله ، وروحه .

(١) ذكر الشيخ رشيد رضا فى وثقى بعد يزعمون أن آدم أمأ ، ولها فى مذهبهم الله (سارس) فهو عليه قمة مجلبة ثمة مرة (المار ٣٠٨/٨)

وملكته . وحصاصته ، وقد تم ذلك كله فى غيبوبة الرمان حدث استوى الصفر والمليون . هذا هو إلا سنة استمرت بضعة ملاس من السنين حتى استوى لإسار . (آدم) الذى ثبت فى التراب ، واستقى من الأرض ، لقد تددت الأحداث والوقائع ، ولم يبق منها سوى الحقيقة الترابية

وهو تصور ليس غريباً ولا بعيداً عن الواقع الذى قرره القرآن - مثلاً - عن الآخرة حين نزل تعالى : ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْحَقُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (١١٤) ﴾ [سازعات] .. أى : إن الرمان يكون قد انطوى ، وسقطت فى جنبه كل الأحداث مهما تعاملت ، واستغرقت مئات السنين ، وهو كذلك ما كرهه القرآن فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنٍ (١١٥) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَمَالِ الْعَادِينَ (١١٦) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٧) ﴾ [المؤسرين]

وبهذا تكون الحقيقة الترابية أثبت الحقائق وأمرها فى وجود كل مخلوق يدخل فى مصموم الصماثر (أنا - ونحن - وأنت - وأنتم - وأنتما - وأنتم - وأنن - وهو - وهى - وهما - وهم - وهن) ، وخبرها جميعاً (من تراب) ﴿ صُلِّصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مُسْتَوٍ ﴾

الباب الثاني

وقائع القصة

الفصل الأول

البشر واللغة

كانت أسفة هي معصرة الحلق التي أثمرت ترويض المخلوق البشري
باسكات العنقا وعي قمتها العقل وإذا كان البشر قد عاشوا ملايين
السنين حتى تتم عملية انشوية ، والسبح الإلهي - بأن من أحضر مظاهر
الكمال الخلقى أن يدرك الأفراد معنى العلاقات المتبادلة فيما بينهم ، وهي
علاقات لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال اللغة - ونحن نستخدم (اللغة)
هذا المفهوم لعدم الشئ بشعر الحادية الحسية ، وهي أقدم لغة وصفت
من بين طرقى اسوع البشرى من أول لحظة - كما يشمل الدفاع ولاحتكاك
اليدى والإشارة وانصوت المنهم - إلخ ، وعلى طريق انضج البشرى
بدأت الجوارح بصر من بين العود والفرد ، وما بين الذكر والأنثى ،
وبحسب أن صوت الحشر كان أقدم للأصوات التي صدرت عن بشر أو
صرخوا بها

كما بدأت وظائف الجوارح تتحدد على سلوكيات سادية - قبلية سترقى
ولتطور واستويج - وما أشبه البشر آنذاك - والرمز طفل لم يتجاوز
بصعة ملايين من السنين - بأصوات الآن في أنهم الأوى - وهو ما
عبرت عنه الآية الحريمة ﴿ وَاللَّهُ يُخْرِجُكُمْ مِنْ بُطُونِ أَنْهَانَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ بَعَلَّكُمْ بِشُكْرِهِ ﴾ [سجدة]

ومن المسلم به عسياً أن وجود البشر كان مسبوقة بوجود الكائنات الأخرى من أعير والحيوان في أسر والبحر ، وكانت هذه تشكل عالماً من الكائنات بأشكالها وأنواعها ، كما كان لها تأثير مباشر على الوجود البشري ، فمنها كان قوت البشر ووسائل عملهم بل تولى بعض الطيور مهمة تعليمه الخلق ما هو صعب إليه من سلوكيات ودور الغراب في قصة أبي بل بل دلالة ظاهرة في هذا الجمل **﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يُؤازر سوءة أخيه﴾** [مائدة : ١٠] أي إن الإنسان في موضع محرة لم يكن يدرك حث الموتى من جسده ، حتى شاهد - وهو في قمة مسنة - الغراب ينفذ درس الدهر ، بعدما بلغ سن الرشده - وحل في المرحلة الأممية الصاعدة ولا بعد أن نتصور أن البشر كانوا في رية وجودهم زفضل رشدهم يتأكلون ويتعاسرون أي يأكل بعضهم بعضاً

وبدأنا بصورت حياة الصدم والصراع بين البشر وسائر أجناس الحيوان بل ذلك يعني أن العلاقات بين الموحودات والبشر كانت هي القوى البوصى ، برجيب السلى والإيعاسى

وبعد كانت هذه العلاقات تنامي دائماً ، كما وكيفاً ، وهي تحدث بعدتها ، وتحضر في لعقل البشري الشارف وكان البشر قد ميروا بالعجز ، أي بالعجز وهو ما يعنى أنهم كانوا قاصدين على الاحتفاظ بالتمسك على كرتهم ثم صاروا يعيدون من رصد التحارب المبراكمه في حركة وفي صوت

بعد كانت لطيف وحيوان طريقته السلى لا تتغير هي التعامس مع جسده وغير حتمه ركه يأتي من ذلك ما يوصف بالثقلانية الاندية

واثبتت القرى المواصل عبر ملايين السنين ، وإن حدث تغير أحياناً في الشكل ، أما رصيد التجارب بشرية فقد كان في نمو دائم وتغير مستمر ، رغبة في تحسين الأداء ، وتمكين لجسد لبشري من لسطرة على سائر الأجناس ، ومن هنا كان التوجه إلى استخدام الأدوات الحجرية لمضاعفة القدرة وتأمين السيطرة هذا في حاسب الحركة

فأما في حاسب الصوت فقد كان أعز مادة ، وأكثر حدوثاً ، كانت الصوصاء - وما رأت - هي غذاء الحياة رقوتها ، ردليلها ، سواء صمرت الصوصاء عن البشر ، أم صدرت عن المادة المتطقه بالحركة وبسبب توسع مخلوق أن يأسى بحركة إلا مقترنة بصوت ، ينبعث من أثر جنكاد المادة بعضها ببعض ، أو يصدر عن الإنسان ، وهو يتعامس مع ثم يتحول الصوت إلى مقطع ، ثم إلى كلمة ، ثم إلى درجاب من التركيب المتنوع ، ثم تتطور هذه الحالة التي اقترن فيها الصوت بالحركة ، يصدر الصوت مستقلاً عن الحركة وقد يكون في هذا الحال مجرد صوت وقد يرتبط بهدف حيوى أو تعبير عاطفى ، وهكذا نشأت اللغة البشرية مع التحاور النالج عن تفصيل كثيرة كثيرة جداً تتعلق بأوعيه لرمزها وإمكان ، واحتمالات الفهم والترك ، والإيجاب والسلب ، وانعطاء واسع ، والدكاء والعداء ، والصدق والاسواء الخ

ولا شك أن للبشر كانوا محوطين بأصوات أخرى تصدر عن طيور والحيوانات ، ولهم من دون الحلائق جميعاً قدرة على فهم لأصوات ودر من لطيف ما عرف بتقيد لأصوات (السمعاء) أما الإنسان فقد له به دائماً بالتحاطب مع تلك الكائنات أو التحاور معها من باب لتسية البروبص وقد لاحظ أولئك البشر أن لكل كائن نوعاً من الصوصاء

يستخدمه في قيادة القطيع ، أو نداء الانثى ، أو تحذير الصغار ، أو مواجهة الأخطار ، فلم لا يكونون كذلك ، وهم يمكنون قدرة هائلة على التنبؤ . وهم - كذلك - يعقلون المعنى للوظيفة لصوت حين يمثل بوجه من الوجوه ، وله لا يكون تعاملهم مع هذه الكائنات من قناة اللغة ، بحيث يصعوب لها أسماء تميزها عند التعامل معها

هكذا تخلقت اللغة خلال ملايين السنين ، حتى صارت مكونة من أصوات متشخصة ، وكلمات متخصصة ، وحتى أصبحت تضم الألوان من الكلمات .. بل حتى تنوعت قبلت عدة اللغات أكثر من أبى لغة ينطقها الإنسان الآن ، وكلها مبنية على عدد محدود من الأصوات هو عاية ما يصدره جوار النطق ، لا يزيد ولا يتنوع .

لقد أوسع كثيرون بالبحث عن أصل اللغة ، فمن قائل : إنها من وحى الله نزل على بعض عباده من الأنبياء ، كآدم ، وإسماعيل !! وللجاء هذا مقولة : إن الله فتق لهاء إسماعيل بالعربية على غير مثال سبق (مختارات لصول الجاحظ مخطوط بدار الكتب) .

وقائل : إنها مواصفة حدث لكل شيء اسمه المتفق عليه - وهو قول ابن جنى في (الخصائص ١/ ٤٤) .

وقائل : إنها محاكاة لأصوات الطبيعة !!

وهائل : إنها سيجة انفعالات تعرض لها الإنسان !!

ومصور أستاذ الدكتور إبراهيم أنيس رحمة الله عليه - أن كلمات لإسماعيل حاشية كانت كثيرة المعنى ، قليلة المعنى ، فاجتمع مدعى من الشباب من حور - يلعبون ، ويستمتعون بالنطق دون هذه معض

سوى المتعة واللعب باستمتهم ، كما كانوا يلعبون بأيديهم وأرجلهم ، أي إن اللغة نشأت في صورة لعب ممتع ، لا يهدف إلى إيصال معنى إلى السامع .. بل كانت أشبه بمداغاة الطفل وأصواته اسهمه .. ثم يكن الإنسان الأول معنياً بالأفكار ، ولكن عنايته كانت مقصورة على العرائز والعواطف ، وبعل الحب والغريزة الجنسية أقوى هذه العواطف ، فهو ينطق أو يصوت يستلقت انتباه الأليف ، ويثبت وجوده واستقلاله ، كالطير حين ينتقل من دن إلى دن ، وهو يغنى غناءً متوحدلاً ، يله بهذا يدال الحطوة بدى أليفه من الطيور

كذلك كان الإنسان الأول يغنى في أثناء صيده ، وفي حربه ، وفي كل ما يقوم به - غناءً لا كفاثاً - يهدف إلى الحرب - وإنما هو تصويت متسجم تتردد فيه الأصوات والمقاطع

ثم تطور هذا النطق من مجرد اللعب والمتعة ، وأصبح ذا هدف فيما بعد ، واستغنى في التعبير عن كل ما يدور بخلد الإنسان من خير أو شر^(١)

والواقع أن كل افتراض لتفسير نشأة اللغة له نصيب ، ولو ضئيل ، من الصواب ، فكل الآراء تجتمع لتسج ثوب اللغة في صورة مكتملة ، غير أنها جميعاً وقعت في خطأ مشترك هو خلطها بين ابشر والإنسان من ناحية . وتصورها أن اهتمام الإنسان للغة كان خلال لفترة الرمنية القريبة التي عاشها لسان منذ آدم عليه السلام باعتباره أول المخلوقات من ناحية أخرى

(١) دالة الألفاظ صفة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥

والحق الذي يؤمن به هو أن انبعاث ظاهرة بشرية معقدة شديدة التعقيد، ظهرت في حياة البشر على مدى ملايين من السنين التي عاشوها قبل ظهور آدم عليه السلام . وقد بلغت درجة من الكمال باعتبارها أراد تعام على مشرف العهد الإنساني الأدمي حتى جعلت مآزاً من حذر بين الله وعلاشكته وبين الله وإبليس ، وبين الله وادم وحواء بكل ما حوته هذه الحزازات من معان ، فسقة وراقية ، أقرد شره إلى التجريد وتحرير مستوى من انزقى اللغوى لا تعرفه سوى اللغات الحضرية الدابجة التي تجاوزت المحسوس إلى الجرد

من إسحاق بن قرص قصة انش آدم (هاسين وقديس) بغيرها فيها عرارة السحرية في المعنى ، وثراء اللفظ حتى أن الإنسانية ما رلت مور بلوع الافق الأخلاقي والقيمي الذي عسرت عنه تلك النصبة ، مما يدل على رحة من انحصارة الديباجة ، بلعبها الإنسان في ذلك لرسل بعد أن كافح ملايين السنين في مرحلة البشرية

ولنفرا نص القصة بقول الله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قُورَيْبًا ثُمَّ قَالَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَنْ يُفَضِّلُ مِنْ لآخر هَذَا لَأَقْبَلَكَ قَالِ إِنَّمَا يَتَّقِ اللَّهَ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) مَنْ يَسْطِطْ إِلَى يَدِكَ لَتَعْلَمَنِي مَا أَنَا بِسَاحِ يَدِي بِكَ لَأَقْبَلَكَ إِبْنِي أَخِي لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يَبْدَأَ بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا فَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ حِمَارُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَصَوَّغَتْ لَهُ نَمَسَهُ فَبَدَأَ أَحَدَهُ فَنَقَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْحَسَرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ لَنَرَهُ كَيْفَ يَرَى سَيِّئَهُ أَحَدَهُ قَالَ يَا وَيْلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ هَذَا غُرَابٍ فَأَرَادَنِي سَيِّئَهُ حَتَّى فَاصَّحَ مِنْ آدَمَ (٣١) ﴾ [البقرة]

لقد ذكرت القصة القروس ، وهو معنى ديني خاص ، وذكرت قبول القربان أو عدم قبوله ، دلالة ذلك على التقوى ولتهديد بالقتل والسامح في مواجهة التهديد حوقاً من الله ، رب العالمين ، وذكرت مفهوم الإثم ومصاعفه وعاقبة العلم وهي النار وسيطرة النفس الأمارة بالبشر على انقائس حتى قنن 'حاه' وصار بذلك حاسراً لديه وأحمره ، وأحيراً ذكرت مدرس لدى شعبه القاتل من العراب ، فتعوى معن الطير إلى معنى كبير من لوم نفس والدم العميق

وكل هذه المعاني السديبة ذات دلالة على لرقى انساني اندي بلغه الإنسان ، بعهد آدم . لقد احتدت لغة مرحلة التعبير امدادي ما أصبحت معبره عن المعاني الغيبية . وب عسرت مستوى الحقيقة إلى امدار وهو تقدم حطير لم تلعبه انشورية إلا عن ملايين اسنين ، وقد توجب هذه المرحلة مصطفىاء آدم سياً يحسن رسالة الله إلى بني ، وهم الحين الأول من أحيان الإنسانية

ومن المعاني العيسية المحررة ذات دلالة العصفية على مذهب هذا - ما جرى على سائر إبليس وهو يعزى دم وروحه بالاكل من اشجيره المحرمة - من ﴿ مَا يَهْدِيكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَكِينَ وَتَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) ﴾ [البقرة] فمضى عرف آدم وروحه معنى لخلود وكف لهم أن يحلوا ، وهو معنى مرتبط بواقع لم يحدث من قنن على مرض انهم اول المخلوقات انشورية ، ومعنى به واقع (الموت) وهو صد لحدود

إن ذلك يؤكد انهم عابداً أحالاً سبعة حصدها الموت ، واستعها الفناء ولعن الخلود أو اسقاء كان حلماً ير وهم فحدهما الشيطان من هد

الفصل الثاني

الإنسان والملائكة

الملائكة عالم من عوالم الكون التي برأها الله ، خلقهم من مادة النور ، بهذا جاء الحديث الشريف برواية أحمد ومسلم رضى الله عنهما . (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق الإنسان مما وصف لكم) ، وليس بلازم أن نبحث في ماهية هذا النور ، وهل هو النور الذي نألفه من مصدر كالقمر ، أو الضوء الذي عهدناه من مصدر الشمس ، أو هو نور آخر مختلف العناصر والأطراف لا ندري كنهه ؟ ويكفى أن نذكر قياساً يقفنا عند حدود أقدارنا ، فقد خلقنا الله من تراب ، وشتان ما بين هذا التراب والحم الأدمي في الشكل ، وإن اتحدت عناصرهما عند التحليل ، فانسافة هائلة لا يمكن للعقل أن يقطعها ، وكذلك للملائكة .. هم من النور ، ومع ذلك نتصور أن هيتهم التي خلقوا عليها بعيدة جداً عن مادة النور التي نألفها ، وكل ما نملكه هو أن نؤمن بهم كما أخبر الله عنهم ، وكما طلب منا الإيمان بهم ، فهم ملائكة الله وجده ، وهم جزء من عالم الغيب الذي حجب عنا حقيقته ، واستعالت علينا رؤيته ، ولعلنا نتذكر هنا أن البشر قد كانوا في أقدار الخلق هم العالم الطاهر ، في مقابل العالمين المخلوقين الخفيين - عالم الملائكة وعالم الجن - وما شاء الله من خلق لا يعلمه

وسجن من خلال الدين مدرك الدور الذي تؤديه الملائكة في عالمنا

الإنساني ، فمنهم من همون بالخير ، ومنهم حفظة .. سفرة .. كرام كاتبون . ومنهم حملة العرش ، ومنهم ملائكة اسماء والسحاب والمطر والأزواق والأقدار ، ومنهم الموكلون بهيأة العباد وموتهم .. إلى ما لا يحصى من مهمات حصصهم الله بالقيام عليها في إدارة الكون ، في السموات والأرض .
 ﴿ وَهُوَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمِنْ عِندِهِ لَا يَسْكُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْشِرُونَ ﴾ (١٩) يَسْتَحُونَ النَّاسَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَنُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ [الأنبياء]

علاقة الإنسان بالملائكة

بدأت علاقة الإنسان بالملائكة على مشارف المرحلة البشرية ، وذلك حين أعلم الله الملائكة أنه حوز أو أنه يريد خلق (بشر من طين) ، وإعداداً لهم في مواجهة ما سوف يحدث من متغيرات على ساحة الأرض ، وقد احتارها الله لإيجاد هذه الحقيقة لبشرية ، بعد أن جعلها مهبطاً ، وكان السلاخ الإلهي منطوياً على جنة من المعاصر المستقبلية إضافة إلى ما كان منجزاً منه .. كان (خلق البشر) قد أنجز ، أو هو بسبيله إلى الإنجاز .
 وهو دلالة الجملة الأولى ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا ﴾ ، ثم جاءت الأمور استقصائية في شكل هذا ، ﴿ نَوْبَ الشَّرْطِ ﴾ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ . وكان الله يريد من الملائكة أن تراقب ما يحدث من تغييرات في أحوال هذا المخلوق الظاهر وصفاته ومتوماته ، حتى يسجدوا له كغيرهم ، إذعاناً لأمره ، وإعظماً لبروكة - عه - ومصعب ملائيين لسياسي رخصت عشرات الألوف من الأجيال ، ورب مشتهى في عمله لتسوية ، شروبه باللكات العليا ، والملائكة مراعاة حرر منكم المخلوق وتحركه - حرر - وول السجود

كان المدخل إلى معرفتهم بال السجود قد آن أوانه خطاب الله سبحانه لهم بقوله ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً .. ﴾ [البقرة] وهو خطاب يتضمن إخبارهم بأن اتسوية قد تمت ، وقد صار البشر مزوداً بالنفخة من روح الله ، وكان لهذا القول وقع المعجزة على أسماعهم ، فهم يتابعون هذا ملائيين لستين حواس هذا مخلوق (البشر) ، ويعاينون من شئونه ما يحيرهم ، ولذا يدروا إني سؤر لموسى عز وجل . ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ بِعَمَلِكُمْ مُقَدِّرُونَ ﴾ [البقرة] .
 وكانهم يقولون لربهم الله هو المخلوق الذي أمرتنا بالسجود له ، حين أخبرتنا بخبره منذ ملايين السنين ؟ لقد راقبنا أحواله منذ ذلك العهد السحيق ، فما رأينا من غير الإفساد في الأرض ، وسفك الدماء ، وهم يشيرون بذلك إلى سلوكيات الحيوانية التي كان عليها البشر في مختلف مراحل تسويتهم حتى اكتسب ملكتهم بالنفخة الإلهية وثمراتها .

ويحذر لبعض الفسرين - أو جمهورهم - أن يفترضوا أن الملائكة كانوا يرون اسمهم جديرون بهذه الصلاقة دون البشر ، وهو افتراض لا يقبله العصر ، فقد كانوا يتمتعون بميزات الشهود والقرب من الله سبحانه ، وهي مرتبة عليا هي سم المخلوقات - لم يبلغها غيرهم من الكائنات الأخرى !! إن يكون كله صفحة مبسوطة بين أيديهم وأنوارهم . يرتادون أملاكه ، ويجوبون أبعاده . يعلمون من أمره ما أنزل الله لهم يعلمه ، وأمين هذا النهاء وأسما من حواس ذلك المخلوق الحيواني ، اللارق بالأرض ، النبات من الثمرات المعربى في ممالك الطير والحيوان ، الصافك لدماء حسنة وغير حسنة .

فما الذي تنصاه للملائكة أكثر مما هي فيه من اتصال بالملك الأعلى ؟

أول ما قاله ملائكة لا يتصممون رعبهم في تلك الحالة ، أو حسد
 البشر ، بل هو تعبير عن استغرابهم ما يتوقعونه من استمرار انفسار
 وتوارثهم على الأرض على تسببهم وتحميدهم وتقديسهم لجلال
 الله وسلامته . ومع الجملة الملائكية ﴿ وَتَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ
 لَكَ ﴾ . ثم الحار أي إسماعيل في أشرار لسفدين ، في حين أن
 هؤلاء ، من حار اسماء ، لا يعرفون دينا ولا يعدون بها

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وسكت الملائكة

والدعاء ١٠٨ . إلى تسجيل ملاحظة عن عبادة الملائكة ﴿ وَيَسْفِكُ
 الدَّمَاءَ ﴾ . إشارة إلى انتشار جرائم القتل في تلك العهود بين البشر
 ولم . ١٠٩ . إشارة إلى انتشار سف الدماء في العهد الإنساني
 عهد البشر . ١١٠ . ناره الله وحده بعد بقر من بقية البشر وانتهاء العهد
 البشري . ١١١ . لم يعرف تكليفا ولا تلقى رسالة ولا اتبع رسا

١١٢ . كانت أولى الحرائم في العهد الإنساني وتميزت
 بالاه ١١٣ . من موسى من نسي آدم لأول مرة بعد أن كانت الحث
 تتكرر . ١١٤ . سائر الحيوانات النافقة تأكلها صواريخ ، أو تتأكل

وقو ١١٥ . فيما روى الحار واليساني عن مسروق عن
 عند الله ١١٦ . نفس ظلما لا كثر على سر آدم الأول كفل من دمها
 وذلك ١١٧ . من القتل) - يشير صا إلى وقوع ذلك الحرام من
 المسير ١١٨ . ارتكار هذه الجريمة تترك هذا مسؤولية عن فعل
 البفسر ١١٩ . مولية إلا بعد - - - - - وفير دم م بكر - - -
 ولا ١٢٠ . موبية وبعد - - - - - عهد الإنساني فكانت المسبوبة
 الدينية ١٢١ . ر آدم لأول - - - - - وعية كفل من دم كل نفس

تقتل ظلما ، لأنه أول من سن القتل ، أي هو أول من حرج على الدين ،
 واتحد لنفسه سنة أخرى ، هي سنة الظلم والقتل ، لا سنة الدين والعمل ،
 وفي الحديث (من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها
 إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
 بها إلى يوم القيامة)

لقد قال الله سبحانه للملائكة ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ومصنوع
 هذا الحرام أمر بهم بالسكوت فسكتوا ، ودرت الاقدار على بهج لمشينة
 وبدل لدرس الأول أو لرسالة الأولى في تاريخ الإنسانية ﴿ وَوَعَلَّمَ آدَمَ
 الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . وحتى هذه اللحظة لم تكن الملائكة تعلم من ذلك الذي
 جف الله من بين البشر خليفة في الأرض ١٠٩ . ولم يكن آدم قد ظهر على
 المسرح ، فاصطفاه كمن في علم الله وحده . وهم معذرون لأنهم لا
 يرون في تلك الحصة إلا الجانب السلبي ، أما الجانب الإيجابي فمحبوب
 عنهم ، ولم يكشف الله لهم شيئا من أسراره

وحده وحسب له بالرسالة والاصطفاء ، في آدم ، ﴿ وَوَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ
 كُلَّهَا ﴾ وهذه أول مرة يذكر فيها لفظ آدم) ويعلم الله له هو محوى
 رسالته التي لم يذكر إلا في هذه الآية . وهي آية لا يمكن تفسيرها إلا في
 ضوء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ رِجَالًا عَمِرَاءَ
 الْعَالَمِينَ ﴾ [عمران]

ر آدم رسول مصمم من الله بمهمة نبوة وإبراهيم . ولقد كانت
 نوح ملحمة كبيرة تحدث عبر القرون في أكثر من موضع . وكنت آدم -
 قبل نوح - سبحانه الكبرى التي بدأت بهذه الملحمة الإلهية . فقد علمه ما لا
 تعلم الملائكة . علمه الدين والرسالة التي سوف تلعبها لنبيه ، وهو ما

الفصل الثالث

السجود للناس إلا نسا

ورد موضوع اسجود لآدم هي سبع صور من القرآن ، هي بترتيب

اسجود

١ - سورة السابعة والثلاثون (ص) ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (٦٤) ﴿ لا إبليس استكر وكان من الكافرين ﴾ (٦٥) ﴿ [ص]

٢ - سورة الثامنة والثلاثون (الأعراف) ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قمنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ (١٦) ﴿ [ذعر]

٣ - سورة الرابعة والأربعون (طه) ﴿ وإذ قمنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾ (٧٥) ﴿ [طه]

٤ - سورة التاسعة والأربعون (الإسراء) ﴿ وإذ قل للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجدت لربى فحققت صا ﴾ (٦١) ﴿ [الإسراء]

٥ - سورة الحاقة والحجرات (الحجر) ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (٦٢) ﴿ لا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ (٦٣) ﴿ [الحجر]

٦ - سورة الثامنة والستون (الكهف) ﴿ وإذ قمنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (٥٠) ﴿ [الكهف]

بدا متالفاً في الحوار الذي دار بين اثنين متصمماً كل منهما بتوحيدية ، وأمهات الأخلاق الدينية ، وتكم في لأسماء التي تعلمها دم عن ربه ، لا يسجد حرض القرآن على أن يذكر أنه تعد ﴿ الأسماء ﴾ ﴿ لها ﴾ ولعل دم كان يعرف بعض الأسماء فتولى الله سبحانه تعيينه كل أسماء فمما يتصل بالهبة التي سيظهر بها حقيقة في لأرض ، ومن بين الأسماء التي تعلمها أسماء الملائكة المشركين في هذا حوار وقد ضمن القرآن بعض هذه الأسماء فتعلمها المؤمنون من الرحي

كان اصطفاً آدم للرسالة إلهية لأولى عيياً محجوباً عن الملائكة لا يعمه ، لا رب العزة ، وكانت الأسماء التي تعلمها فتعلمها بالأمية التي باطت لله بدم وثريته وهو ما به تعد الملائكة من عن إب بداية عهد حرب وإشراقة جيل الإنس على بقاص أركام استرى رحيين عرص ، سبحانه هذه انصاميين على ملائكة ﴿ فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ (٦٥) ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا بذلك أنت العليم الحكيم ﴾ (٦٦) ﴿ [البقرة]

ولا صبح من أن يشير إلى معروضات الملائكة على الموقف بإشارة اعتلاء هؤلاء) لأن لأسماء تتعني أشخاص وأشياء بغير دم بغيرها وعزت الملائكة بأنها لا تعلم لا علم له من قبل مشيئة له ، ﴿ قال ما ده أنهم بأسمائهم فلما أباهم بسمائهم قال ألم أقل لكم بلى أعلم عيب أنسرب والأرض وأعلم ما تدبر وراءكم فكنتم تكتمون ﴾ (٦٣) ﴿ [البقرة]

سجود الملائكة كان في تقرير سجود آدم للناس المصمى

٧ - السورة السابعة والثمانون (البقرة) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة]

ويلاحظ على ما سبق من النصوص القرآنية ما يأتي

١ - أن النصوص الستة الأولى مكية والنص السابع مدني

٢ - أن النص في سورة (ص) يجعل السجود عقب تمام النفع من روح الله ، وكأنه جواز وجوب للشرط ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ ، وكذلك أيضاً السياق في نص سورة (حجر) ، أما النص في سرره (الأعراف) فهو حي يروى مسافة رمية بين مرحلة التصوير (أو التسوية) وبين الأمر بالسجود ، كما سبقنا ملاحظته ولكن استحالة الملائكة للأمر كانت في سياقها غريبة مقرونة بالقاء

وتتشابه النصوص في بقية النصوص المكية في (صه وإسراء والحر والكهف) - يد يد السجود جواً للأمر (اسجدوا) (سجدوا)

أما النص مدني في سورة البقرة فيجعل الأمر بالسجود عقب فصل هام من النص ، هو الحوار بين رب العزة والملائكة في شأن (الحلالة في الأرض) ، هي صفة نادرة لم ترد في أي نص قرآني سابق ؛ لاحق

لقد كان من التفسير يرون دائماً أن اسجدوا للملائكة قد حدث بعد بركة الله - التي نهضت آدم (بشر) مسوي) وهو رأى سائد في كل البعثات ، إن الملائكة رأيت في بحرك هذا المخلوق بشيئاً ، إلهيه تسجد السجود - تكريماً لأدم وطاعة له عز وجل بحسب الرؤية المتقدمة وهو ما يقوله الأستاذ البهي الحولي (ص ٥٩) سجداً

الملائكة له بأمر من الله عز وجل صدمت نفخ فيه سمحاته من روحه)

أما نحن فندري قطعاً لنصورنا أن نص سورة البقرة - وهو النص الأخير الذي يحكم جميع النصوص السابقة ، يهيمن عليها - هذا النص قد طرح ترتيباً آخر للأحداث ، فجاء بالأمر بالسجود بعد مشهد الحوار بين الله وملائكته عن اتخاذ خليفة في الأرض ولم يكن آدم معوماً آنذاك للملائكة رغم أنه كان موجوداً على الساحة بين أعمار البشر ، ولذلك عمت الملائكة الحكم على البشر وأنهم يفسدون ويسفكون الدماء ، وبو كانت الملائكة تعرف أن المقصود آدم - ربما استثنته من هذا التعميم ، ولدت قال الله ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وهنا دخل آدم إلى مسرح الحوار ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ [البقرة] كان التعليم هو الوحي الذي علم آدم ما لم يكن يحسنه ، وهو اصطفاؤه بساً وتزويده بالضرورة من لتعليم الدينية ليبدأ المركب الجديد ، موكب الإنسان المكرم في شخص آدم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء] ، وموقف آدم عليه السلام في هذا هو موقف محمد ﷺ ، وقد قل الله له ﴿ وَعَلَّمْلَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [ص]

[سمه]

وهي هذه موقف عن الملائكة لأول مرة أن المقصود بالخليفة هو (آدم) وليس غيره ؛ إن أسوة طبيعة المركب الإنساني ، وخاصة انطلاقاً لحق الذي به خطواته التنفيذية من ملايير لسيير ، فوجد كنهه في شخص آدم ، النبي المصطفى ، لها من قدر ، هائلة ، تانت عملها الخلق خلال هذا الرمز المتناول وياله من إنجاز رائع تحلى عظم تدن في

شخص آدم الرسول ، الذى تفوق على ملائكة الرحمن .

فى هذا المشهد الكونى العظيم أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ، تكريماً وتكليفاً ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ . به موقف يثير من الأعماق كوامن الطاعة والإعجاب . كما يحرك بوافع الحقد ودفائنه ، وغى هذا المشهد ولد الشيطان " الكافر المتأنس المستكبر

ولا بد أن نتعرض هنا لمعنى السجود والمراد به فى هذا الموقف ، وننقل عن الأستاذ البهى الخولى ما قاله فى كتابه (آدم عليه السلام ص ٥٩) (ومن النديهي أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة ونسك فإن ذلك لا يكون لغير الله ، إنما هو سجود تحية وتكريم ومؤانسة . وليس ضرورياً أن يكون سجوداً وضعوا له الجباه على الأرض . كما نفعل فى سجودنا لله عز وجل ، فللسجود هيئات كثيرة تتنوع بتنوع أصناف الخلائق ، والله سبحانه يقول فى ذلك ﴿وَالْحُجَّامُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن] . ويقول على لسان يوسف لأبيه ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف] . ويقول ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الشورى] . ومن النديهي أن سجود الدواب ليس كسجود الملائكة وسجودهم ليس كسجود الكواكب والشمس والقمر ، وسجود هؤلاء جميعاً ليس كسجود الشجر والزرع الصغير .. وهكذا .. ذلك إلى أن من معانى السجود فى أسعة النظام والتواضع ، ويقول صاحب المصباح المنير (وسجد لغير خفض رأسه عند ركوبه ، وكل شيء ذل فله سجدة) ، فهذا كمن فى سجود الملائكة معنى الذل فليس هو ذل العبودية ولا الذل بصفه شكرامة . إنما هو ذل التواضع والمودة الذى ترى شئنا منه فى قوله تعالى

﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا صَاحِبَ الدَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [٢٤] ﴿إِسْرَاءُ﴾ . وتراه هيم بمسأله رحمة المؤمنين منهم من انكسار الأح لأحد المؤمنين الذى عبر عنه الحق بآدم ربهم بقوله ﴿أَدْلَقَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَرَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٢٤] * [مائة]

فهو سجد فيه معنى التحية والمودة وحفظ أجناسه . والإقرار بالعصر قسار لقرطبي فى الجامع : (وقال قوم لم يكن هذا السجود المعتاد ليوم آدم هو وضع الجبهة على الأرض ، ولكنه مبقى على أصل اللغة . فهو من الخذل والامقياد .. أى : خضعوا لآدم ، وأقروا له بالفضل) (القرطبي ١ ٢٩٣)

وواقع أن حوقف لم يكن بحاجة إلى هذا العناء بتفسير السجود بالتدليس أو خفض الجناح ، أو الإقرار بانفصال ، فذلك كله مبنى على التصور القديم الذى يرى الموقف محصوراً فى سخطات القى ابهرت فيها الملائكة بدبيب نغمة الله فى جسد آدم ، وهو تصور ثبني قصوره عن فهم الموضوع فى ضوء معطيات العلم ، واحتمالات لنصوص القرآنية

والذى نطمئن إليه هو أن سجود الملائكة كان يعنى تكليفهم بحبطة الحياة الإنسانية ، ابتداء من (آدم) ، وهو تكليف دهن إلى يوم القيمة فتولى الملائكة فيه المضاعطة على بنى آدم ، وإلهامهم الخير ، طبقاً لمشيئة الله سبحانه فى مقابل ما تعد به إيسيس آدم ودريشه من الفواية والاحتدك والبهنة والصليل .

ملائكة هم موعود أمر السجود - أحد مبررى انعادله فى الحيد الاسمية - انشردت على الصواع بين الخير والشر

الفصل الرابع

موقف إبليس من السجود

لإبليس في قصة آدم موقعان : موقف مع رب العزة ، وموقف مع آدم وزوجه حواء ، والموقفان يتحولان في النهاية إلى موقف واحد ، هو موقف الصراع بين الخير والشر ، أو التناقض بين الملائكة والشيطان ، ومجال الصراع دائماً هو نفس الإنسان (آدم وذريته)

ويظهر إبليس في مشهد التكليف بالسجود فجأة ، ودون مقدمات ، فلم يرد له ذكر قبل هذا المشهد ، وما كان سوى واحد من (الجن المنقشرين) في أرجاء الأرض ، ولعله كان ذا حظوة واقترب من عالم الملائكة حتى جاء الأمر بالسجود ، وكأنه مقصود به معهم ، والقرآن ينص على ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. ﴾ (٢٠) [الكهف]

ولعل تجاهل القرآن لتكرره في خبر الأمر بالسجود - إنما كان لأنه مجرد فرد من (الجن) ، على حين أن الخطاب كان لعالم الملائكة بإطلاق. ولما شذ في موقعه ، وأعلن رفضه لأمر الله ، ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ صار علماً على الشر ، في مقابل استحادة الملائكة الذين صاروا أعلاماً على الخير .

وتحسب أن الأمر لم يكن بالصورة التي يتخيلها العامة من المعسرين .

وعلى ذلك فقد سجد الملائكة ، وما زالوا ساجدين ، لآدم ، ولبنى آدم ، وهذه هي الكرامة التي كفلها الله لهذه الذرية المصطفاة من حليفة الشرب طبعاً لما قررت آية سورة الإسراء ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي أَرْحَامِنَا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِنَا فِي الْمَنَاجِزِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١٧) [الإسراء] . وهي أيضاً الكرامة التي أشار إليها إبليس في قصة الحوار في سورة الإسراء : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ .. ﴾ (٢١) [الإسراء] . فقد أحتقن حين رأى ما خص به آدم من تكريم وكرامة ، فترعد بأن يضلله وذريته ، ليظهر عدم استحقاقهم لهذه الكرامة .

لا تكة ومعهم إيسيس بيدى الله . حل وعلا . وآدم واقف
السجود . فقد ستقر رأب على أن اسجود كال لآدم النبى
العه . ونبى اسهل به عهد الإنسان لا لآدم المخلوق على
ر قد مضت عليه ملايين السنين . وإن سم يكن هرق سين
وعليه هار كليف الله سبحانه سملائة بالسجود كان
بالاشعار بحفظ ذلك الحليفة النبى . وسريته إلى يوم
عصر . يسيس أن يحصص للأمر الإلهى . وأن يعمر فى خدمه
الائكة . وسلك شفق على الأمر الإلهى . وصار عدو لآدم
صار عدوا لله حقيقه . وقد استعص بهد العداوة . فلم يرجع
به أنه عبد الله

يكون التشكيك الجديد للحياة كما أراد الله صراعاً بين
الشر والتفكير بين الشيطان واللائكة على شأن احياء
وآدم وسريته موضوع الصراع . وأدوته . وهم أنطاله أو
بدأ للمرحله السعة من الملحمة لوجوده مرحلة الحساب
والجلود فيها

الذى رفض السجود والتكليف . كان عاصياً لأمر الله من
أن رده لتفكير رادة الله من ناحية أخرى . ولولا أنه رفض
كبر راسه ما كنت هذه الدنيا . وهو أمر مع يكن مقصوداً به
به . ولم يكن به . به قبل أن يكون

ن الأمر للصالحين من استنوير . لدى ذكر هه الشهد فى
الذال ربح سملائة النبى حالى بشر من صير (١٠٠)

سويته وبحث فيه من روى فنعوا له ساجدين (٧٢) فسجد الملائكة كلهم
أجمعون (٧٣) إلا إبليس اسكبر وكان من الكافرين (٧٤) قال يا إبليس ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدى سكرت أم كنت من تعالين (٧٥) قال أنا خير منه
خفتنى من نار وحلقه من عير (٧٦) قال فاخرج منها فإنك رجيم (٧٧) وإن
عليك لعنتى يى يوم الدين (٧٨) قال رب فانظرنى إلى يوم تبعثون (٧٩) قال فإنك
من المظرين (٨٠) إلى يوم الوقت المعلوم (٨١) قال فبعرثك لأعويهم أجمعين
(٨٢) إلا عباد منهم المخلصين (٨٣) قال لا الحق والحق أقول (٨٤) لأملأن جهنم
ملك ومن تبعك منهم أجمعين (٨٥) ﴿ [ص] ﴾

وبسبب هذا النص شبه بتلخيص للحوار . أو بالأحرى لقصة النبى
حادث تفاصيل كثيرة منب فى السورة الثانية برولا . سورة (الأعراف)
لكن حسنا الآن هذا مخرج لدى يقتصر على حسب الحوار بين الله وبين
الممر إيسيس

وفى بداية النظر فى مكونات الحوار نؤكد هنا على ضرورة مراعاة
السعة بين ما يسعى له من جلال وعظمة وعلو شأن . وهو سبحانه
لخالق البنى لمصور . وبين إيسيس من حيث هو مخلوق يواحه حاقه
وهو لا يرس فى قدره عن أى مخلوق متمر . على أو من الحقيق . مَصْرُ
على معصيته . سوء ك من الإنسان أم من الجن هه من بخته

ومن ناحية أخرى نجد أن بسبعه الصورة لسادحة اتنى تفصيلها
معض من توبو هه القصة على صورة امواجهه مباشرة فى هه
الحوار فلا ريب أن شيطان كان فى موقعه من الكون لا يستطيع أن
يحاور قدره فسطاوى إلى المقام الاسنى مقدم رب اعرفه . يجابهه بلك

المقولات فانه اعلى وأحل من أن تدركه الأبصار ، أو تحده الأوهام والظهور . وعاية ما تنصوره أن يكون الحرار قد جرى من خلال الوحي النفسى لادى حاط بتفاصيله من يعلم السر وأخفى ، فهو - والله أعلم - حوار جرى في نفس إبليس ، حين رفض لأمر بالسجود من مطلق اعتقاده بأنه حصر من آدم من حيث الأصل فهو من نار ، وأنه من طين ، وذلك راء على ما ثار في نفسه من أن إباءه السجود لا تفسير له إلا لكونه والعطسة وحبيبه حواء ، الأمر الإلهي - أيضاً - من طريق الوحي النفسى ﴿ فخرج منها فيأئك رحيم ﴾ وإن عليك لعنى إلى يوم لدي ﴿ وهكذا سر الحوار إلى نهايته ، بكل ما تضمن من حقائق وأقدار عرت عنها كل رسالات الأنبياء ، من من آدم إلى محمد ، عليهم جميعاً أفضل صلاة وتم السلام

وقد يحلو لبعض المتفلسفة أن يروا في هذا الموقف الإبليسى تعبيراً عن انقوة واشجاعة الأدينية من وزراء بعضهم في الغاشطة ، فرأى في هذا الموقف ية على منتهى استوحيد ، فهو لا يسجد ، لا لله وحده ، وبحين بعضهم أن إبليس حين تمرد على الله صار رمز الحرية ، وزعم الأحرار أرافصين للقيود .

وأواقع أن موقف إبليس في ذلك الحوار يعكس ملامح شخصية متدفصة عبية عدية في لعاء والبدقم والصمم والصن والجهالة وذلك إما ما احتكما إلى المقامس الأخلاقية المثالية ، وبما أصفى عليه حلم الله أو سبغ هالة من لتعظم تليق بمتكرر حقوق هو إبليس

فليس من اعتد أن تصدى مخلوق للحاق ويتنرد عليه وهو يدق يقياً أنه هم حارس في النهاية . من وهو يعلم أنه حارس وبه عوه لملقة ولناس شديد

وليس من الشجاعة أن يتجراً على الله ، وهو يعلم أن ذلك يؤدي به إلى جهنم ، وبئس المصير ، ثم يستمر في هذا التجرد إلى حد الوقاحة والتحدى العبيط "

وليس التوحيد إلا لإدعاء بالعبودية واطاعة المطلقة لله وحده لا شريك به ، والانصياع لأوامره ، وإبليس حين رفض السجود لآدم لم يكن إلا رافصاً لأمر الله ، وقد أوقعه في هذا الجرم سوء تأوله ، أو لنقل ، به قد ركبه في هذه اللحظة شيطان آخر أعتى منه - لو صح انتصور - فأعده بمتنرد وأعماه عن نبي وحه الحق ادى أدركته الملائكة ، فالملائكة هم في الواقع أذكى منه ، وأعمى بوحيداً ، على حين خرج هو عن دائرة التوحيد .

ويكفى دليلاً على غباء إبليس أنه وقد حفى عليه المسعى الصحيح لسجود ، وهو موالة آدم ودريته - إلى يوم القيامة ، كما أدركت ذلك الملائكة - انبرى بعقله النفس يعقد مقاربة بين النار والطين ، ويؤمن خيريته على آدم من هذا انجاب ، مع أن الطين عند انقامل خير من النار ، فهو ركي معطاء ، وهي أداة إهلاك وعباد

وفصلاً عن ذلك ، فإن الأمر بالسجود لآدم لم يكن يعنى أمصليته ، بقدر ما كان يعنى إرادة تنظيم الحياة لجديدة على أساس من تعاون المستويات الخلفية لثلاثة أمور وطين والنار ، أو الملائكة ، والبشر والخن ، وحصوع لجميع لأمر الله وإرادته

وهب - يا إبليس - أن السجود كن يعنى الأفضسية من هذه لأفضلية لم تكن نفسى لأصل امدى من هي تعنى تعلق لإرادة الإنهية بالأمر

من ناحية ، ثم إن معيار الأفضلية في مستواها يعزى ليس مادة
 من طين أو من نار ، بل هو التفاضل في صدقة الله ، كما قال تعالى
 ﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات] ، فقد
 - في سموات الرضوان جنس من نار ، وقد يرسب في قاع الحميم
 من طين ، لأن المعيار هو التقوى

١٤ سجّل إبليس على نفسه نقطة غباء ، حين حصر نفسه في ملاحظة
 بين الطين والنار ، ولو كان ذلك صحيحاً لخرت الملائكة عليه بأمرها
 (النور) ، وهو خير من النار قطعاً ، بمقياس إبليس .. بل وبكل
 ١٥ ، وإذا كان أتباع الشيطان وعبيدته قد تصوروا أن لهم هو رمز
 ١٦ ، وزعيم الاحرار فعما ذلك إلا أثر من آثار تسلطه بغبائه على
 ١٧ ، إن كانت لهم عقول ، لقد تعفّفوا بمفهوم التمرد الذي أبداه إبليس
 ١٨ ، واجهة أمر خالفه ، ولم ينظروا إلى أنه لم ينكر ربوبية الله في
 ١٩ ، أن ينظره إلى يوم البعث ، وفي نفسه بكرة ربه ، وهو مسك يصعه
 ٢٠ ، أمض أو بالجنون ، إذ كيف يُكَبَّرُ منه أن يتمرد على (رب العزة)
 ٢١ ، ويختار طريق الغواية والإغواء والذلة ، عامداً متعمداً ، اللهم إلا
 ٢٢ ، غيباً غاية في الغباء ، أو متقاداً لشيطان أمّته ، تسلط عليه
 ٢٣ ، أصله هذا الضلال المبين ١٢ ، وحتى فقد القدرة على التعبير فلم يلحظ
 ٢٤ ، منه الفاضح ١١ فإذا لم يكن هناك شيطان قبله ، فهو إذا انطмас
 ٢٥ ، يرة ، وعلى البصر ، وهو أودأ وأخيراً الحقد الذي مكنه تجاه أمم

١٦ هي الحرية إذا ؟ اللهم إلا أن يكون معنى الحرية هو الاستحسان
 ١٧ ، والتخلل من كل قيعة تعمر بها الحياة - أن يكون معنى الحرية

هو تحريب الدنيا ، وتدمير بنانهم إلى شر الفساد والإلحاد ،
 وإشاعة الفوضى والانفلات ، وسيادة "الحقد على وحود الحياة كلها" ١٨

ومع ذلك ، إن إبليس كان في موقفه مكرراً لأنه رغم لنفسه القدرة
 على إغواء أناس أجمعين ، إلا المخلصين منهم من عباد الله ، وعجيب أن
 يدرك هذا الفرق بين الغواية والإخلاص ثم يستمر في مزاعمه ، فكان نذير
 الله له بأن يملا جهنم منه ومن أتباعه أجمعين وبهذا ختم الحوار - كما
 قدمت سورة (ص) - في أول سياق يتعرض لهذه القصة .

فإذا قرأت ما جاء في الصورة الثانية لها في سور الاعراف - الثامنة
 والثلاثين - وجدنا مريباً من التفاصيل عن أساليب إبليس في إفساد
 الحياة الأدمية (الإنسانية) ، وهو مصممون قوله (لاغوينهم) ١٩ قال
 ﴿ بَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (٢٠) ثُمَّ لَأَنْهِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (٢١) ﴾ [الاعراف]

وفي السورة التاسعة والأربعين - الإسراء - يخاطب إبليس ربه
 ﴿ قَدْ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَغُوِّنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْبَبْتُكَ ذُرِّيَّتَهُ
 الْأَقْلَبَ (٢٢) ﴾ [الإسراء]

ويجيبه الله سبحانه ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمِنْ بَعْدِ مِنْهُمْ قَرْيَةٌ مِنْهُمْ جِئَازُكُمْ
 حَرَاءٌ مُوقُورًا (٢٣) وَاسْتَغْرَزَ مِنْ اسْتَنْطَفَتْ مِنْهُمْ بَهْرَتَكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
 وَرَجَلَتِكَ وَشَرِكَيْهِمْ فِي الْأَسْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
 غُرُورًا (٢٤) ﴾ [الإسراء]

وفي لسورة الثالثة والحمدسين - الحجر - رب بما أغويتني لأرسي

لهم في الأرض ولأغويتهم أجمعين (٣٩) إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠) [الحجر]

وهي السورة الثالثة والتسعين - النساء - يأتي حديث من الشيطان والمتصود به إبليس - قال تعالى ﴿إِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا بِنَاءً وَإِنْ يَدْعُو إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَجِيبًا نَفَرًا (١١٨) وَلَاصِدًا (١١٩) وَلَا مَنِيئَهُمْ وَلَا مَنِيئُكَ أَتَادَنَ الْاَنْعَامَ وَلَا مَنِيئُهُمْ فَلْيُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ مِنْ شَيْءِ الشَّيْطَانِ وَلِيًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٢٠) يَعْدَهُمْ وَيُنَبِّئُهُمْ وَمَا يَعْدَهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢١)﴾ [النساء]

وهكذا - عبر النصوص المتتابعة - يتضح المتصود بالغواية في قوله تعالى ﴿لَأَغْوِيَهُمْ﴾ ، فهو يقعد لبني آدم على الصراط المستقيم ، بل يعترضهم على طريق الإسلام ، وهو يتسلل إلى حياتهم من كل اتجاه بوسوسته بقدر ما يستطيع ، وقد ورد في الحديث (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ؛ قعد له بطريق الإسلام فقال له : تدع دين آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له : تدع ديارك فتتغرب ، فعصاه فباجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له : تقتل فتقتل فيقسم مالك ، وتكح امرأتك ، فعصاه فقاتل) (الكشاف ٧٠ / ٢ - ٧١) ، وإبليس يتوعد ما بأن يحاصر بني آدم من جميع الجهات ، كناية عن محاولته الهيمنة عليهم ليذهلهم عما خصهم الله به من اكرمة وهو ما جاء في النصر التالي في سورة الإسراء ، التاسعة والأربعين مروناً في الآية الكريمة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ فِي أَحْرَسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَكِي ذُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا (١٠١)﴾ [الإسراء] ، والاحتدال ، ماخره من احكك - فكانه يتوعد بأن يلتهم بوسوسته بني آدم ، إلا قسلاً منهم من

يعصم الله من غواية الشيطان ، وهذه صورة أخرى من تفسير معنى الإغواء .

ويرد الله سبحانه وتعالى عليه هذا الوعد ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جِزْيَهُمْ جِزَاؤُكُمْ جِرَاءً مَوْفُورًا (٣٦) وَأَسْتَفِرُّ مِنْ اسْتَفْتِكَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٣٧)﴾ [الإسراء] ، وفي هذا الرد توصيف بوسائل لإغواء ، ومدى ما يمكن أن يكون لإبليس من أساليب تخريب احبة الإيمان ؛ أن يستفز الناس ويستحلفهم بصوته ، وأن يجلب عليهم ويصيح بهم بكل ما يملك من خيل ورجل ، وهو كناية عن الضجيج والصخب ، والتسلط ، وقد يدخل في مضمون الصوت والحبشة كل كلام من العبث والمجون ، والفحش والبذاء ، ونداءات الجنس ، وأفلام الانحلال ، وكل هذه أساليب شيطانية تحقق أهداف إبليس .

وحسبنا في هذا قول رسول الله ﷺ (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) ، فهو جبار إلى الخ مباشرة ، ويبقى في الآيتين السابقتين قوله تعالى : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ ، وقد فسر الزمخشري بقوله ، وأما المشاركة في الاموال والأولاد فكل معصية يعملهم عليها كالربا ، والمكاسب المحرمة ، والحيرة والسنة ، والإنفاق في المسوق والإسراف ، وضع الزكاة ، واستوص إلى الأولاد بالسبب الحرام ، ودعوى ولد يعير سبب ، والتسمية بعد العزى ، وعبد الحارث ، والتهويد والتتصير ، والحمل على الحراف السميعة ، والأعمال

اتباعه من شياطين الإنس والجن وحدهم

وببقى من هذا الحوار ما جاء من قوله تعالى في سورة (ص) ﴿قَالَ
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنْ عَلَيْكَ نَعْتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)﴾ [ص] وقد
جاء في مقابله في سورة الأعراف ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ
تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (٢٠)﴾ [الأعراف] ، كما تكرر هذا الأمر
بعدما أظهر إبليس من وقاحة في محاطة المولى عز وجل ﴿قَالَ اخْرُجْ
مِنْهَا مَذْذُورًا (٢٨)﴾ [الأعراف]

وما جاء في سورة الحجر لا يختلف عما في سورة (ص) ﴿قَالَ
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنْ عَلَيْكَ نَعْتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)﴾ [ص]
وقد استخدم النص الكريم أحد لفطين ﴿قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا﴾ أو ﴿قَالَ
فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ ، وكلاهما يشير سؤالاً عن المقصود بالضمير في (منها)
علام يعود هذا الضمير ، ولم يتقدم ذكر لا يعود إليه ، وذلك مع
ملاحظة أن الأمر موجه إلى إبليس وحده على خلاف الأمر الآخر لدى
جاء في الحوار مع آدم ووجه بعد الوقوع في الخطيئة ﴿قَالَ اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ (٢١)﴾ [الأعراف] ، أو ﴿قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ (٢٢)﴾ [ص] أو ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا (٢٨)﴾ [البقرة]

إن المتأمل في الأمر الموجه إلى آدم ووجه لا يفسر عليه أن يلاحظ
عود الضمير إلى (الجنة) المذكورة في السياق المتقدم من النص أما
الأمر الموجه إلى إبليس وحده فهو الذي يشير التساؤل وقد ذهب
إبراهيم حشري إلى أن المراد هو الهبوط أو الصروح من السماء أمر هو فكر
المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر الباطنيين
المتكبرين من الثقلين ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ ونعني «فخرج

إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي من أهل الصغار والهوان على الله وعلى
أوليئته تتكبرك وذلك أنه لما أظهر لاستكبار (البس الصغار) (الكشاف
٦٩٢)

ويرى صاحب أسرار (أن الهبوط هو الانحدار والسقوط من مكان إلى
ما دون ، أو من مكانة ومهلة إلى ما دونها ، ثم نال والصمير عند بي
الجنة التي خلق الله فيها آدم ، وكانت على شئ مرتفع من الأرض ، لما
٢٩٦) ولعل يراد من حشري أقرب إلى العقل ، لعدم تقدم ما يعود
عليه الصمير سوى ما يفهم من اللقائ ، والأمر ليس إهباطاً بل
هو نوع من الإرجاء ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿إِذْ هَبَّ سَيْفُ
مُحَمَّدٍ﴾ ، ولأن الجنة التي وردت في الحوار مع آدم قد أسكنه الله بها
بعد صدور هذا الأمر إلى إبليس ، وقريب من ذلك ما ذكره صاحب أسرار
عن انحطاط ابن كثير قال (يقول تعالى لإبليس بأمر قدر كبري دهمط
منه بسبب عصيانه لأمري ، وخروجك عن طعني ، مع يكره لك أن
تتكبر فيها قل كثير من المفسرين الصمير عند إلى الجنة ويحسب أن
يكون عنداً إلى المهلة التي هو فيها من الملكوت الأعلى ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا مِنْ
الصَّاغِرِينَ﴾ أي المذليلين الحفيريين معاملة له بتقصير بصره ،
ومكافأة لمزاده بصره ، فعند استدارك العين وسأل بصره إلى يوم
الدين (المدر ٢٩٦) وعلى نسق هذا لأسلوب نحوي بمسرات
مدارك على لغة العوام ، لا تراها حريقتها من إيراد مصطلح يرتقى
كقوله عامة (طه سبها وهي تغمر) ، فانقص هذا بخره انصراف
عن الموضوع وعدم الاحتجاج

ونقد معين على تعيين المراد بالأمر الموجه إلى إبليس عند صياغة أنه

الفصل الخامس

بِسْمِ إِبْلِيسَ وَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ

يبدأ غصن شأسي من احوار في قصصة الطبق بعد فتصاح أمر
بلمس وعلايه سائر عن عداوته لأدم وذريته يبدأ هذا الفصل بتوجيه
الله لأدم أن يسكن مو وروجه (حواء) اجنحة ، وأول آية تحدثت عن هذا
لتوجيهه في آية لا تعرف ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة 2]

ولا مناصر عن الحسبم بأن آدم هو أنس الأرض ، وقد كانت حينئذ قبر
الاصطفاء وبعد الاصطفاء على الأرض ، وقد احتار الله للروحين بقعة
رائحة من شذى لثمرة توفر فيها العناء والكساء وادء وانظر .
وسائر مقروء — بحساسة الرخية وقان به ﴿لَنْ يَكُنَ الْأَجْرُ فِيهَا وَلَا

يعرى (٨) وَكَانَ لَا يُظَاهَرُ فِيهَا وَلَا تُصْحَى (٩)﴾ . وكان لهذه الحقبة (ر'
لحديثه) وعبدته

الأولى - منه رس فيها أرم أساسيات الرسالة أنى صطفه الله
فتلعبها إلى . يته ولا سيم استكاليف الأحافقة ، والبعيم اديبية
لمتصلة باليه ز لأحد وهو ما يبدو مثلقاً في قصة سى م (هاس
وقاير) عى - زرد المندة ، ولا ريب أن ايودين قد تلقوا عن شهما كل
مدر فى حورهما من معالم كالتقوى والفجور والتوحيد ، لنسب
واحلال وحرام والعيل وانظم واسحة اسار وهي هذه لحة

اقتصر في آية الأعراف بما يفسر هذا المراد ، وهو قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ ﴾ ، و (الهبوط) حركة رأسية من أعلى إلى أدنى ، و (الخروج) حركة أفقية من مكان إلى آخر ، والجمع بين السعدين على المستوى الذي يتناقص ، فلم يبق إلا المستوى الأخلاقي وهو الهبوط من قمة الطاعة إلى برك التمرد ، والخروج من حرم الرضوان إلى حماة الفسوق والعصيان ، وذلك يمكن تفسير الهبوط بالخروج

عالمًا أن يقارن إلى الأرض أقل من السناء فقول لا موضع له ، لأن الكور كله خلق الله وصنعه ، وهو محال لأمره سبحانه ، والله الخلق والأمر ، والأماكن تشرف بأنها صنعة الخالق ، لا بمن تعلق بها من المخلوقات طائعا أو عاصيا ، فاستوى بذلك الظرف والمطروف ، وقد يحص الله بعض خلقه ببعض الأماكن ، كما يحص بعض الأماكن ببعض خلقه ، وكل ذلك في إطار الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين

إن الله سبحانه لا يكره خلقه لدواتهم بل يكره منهم فعالهم التي
 يهاجمونها وسعواهم إلى مراكبتهم ، مراكبة إبليس الذي استصح أمره
 وتعزى من ملاسته ، وأعرقهم في وساوسه كما أن الله يدعوهم إلى فعل
 الأمور التي يحبهم ، ويزيد في إحسان إليهم ، فمن أطاع الله فقد
 ارتقى على درجات الملائكة صعوداً ، ومن عصا الله فقد ارتكس في
 دركات النار خواراً ، وبئس المصير وهذا هو الأصل أو هي السنة التي
 عصى بها خلقه المكلفين بطاعته مسكاراً لتكليف

الأرضية كانت الخصيئة التي سرف شعر من مناقشتها بعد قليل

الثالثة - أن هذه الجنة كانت بمثابة لحاء الأرض الذي يعزل آدم وروحه بعد الاصطدام - من سائر البشر ، خارج نطاق التكليف الديني . ريثم حتى مساحة لأرضية من وجودهم - إلى الأرض لن تكون بعد ذلك إلا لأدم وديب ، وهي بداية العهد الإنساني

لقد خلق آدم من تراب الأرض ، ليعمر هذه الأرض ، وذلك قدر الله سبحانه خلق البشر ، وهم أصول آدم

وما أشبه ما حدث آنذاك حين عزل دم وروحه في الجنة ، ما حدث بعد ذلك إبان الطوفان فقد حسم روح في ملكه من كل زوجين اثنين وأقربه معه ثم تولى لطوفان تطهير الأرض من أشركين وأثرتهم وتاد روح الملك حتى ﴿ وَاسْقُوتْ عَلَى الْجُودِي وَفِي بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [مرد] ، فقد كان بدء العهد الإنساني يتطلب إخلاء الأرض من المفسدين وسفاكي البماء ، وهو ما تولت القدرة الإلهية تنفيذه مشرة سكنى آدم وروحه في الجنة

على أننا ينبغي ألا نفوتنا ملاحظة ظهور زوج لأدم ، لم يرد ذكرها قس ذلك ، وهو ما يعني أن آدم كان متزوجاً قبل الاستحلاف والاصطفاء ، وذلك ما يدل عليه سياق القصة يقول الشيخ رشيد رضا ولاية من عسى أن آدم كان له روح - أي - امرأة وليس على القرآن مثل ما عسى النبوة من أن الله تعالى لقي على آدم سبتاً - انزع في أثناء صعداً من أصلاده فخلق له منه حواء امرأة - ونها سمي امرأة (لأنها من أخرى أخذت) . وما روى في هذا المعنى فهو مأخوذ عن الإسرائيليات وحدث أسى هريزة في الصحاحين (فإن المرأة خلقت من صلح ..) عسى حد

﴿ خلق الإنسان من عجين ﴾ [الأنبياء] ﴿ ببلين قوله (فإن ذهبت تقيمته كسوته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء) أي (لا تحولوا تقوس النساء مشددة) (لمار ٨ ٢٠٨)

وعلى أية حال فإن اختيار القرآن إبراز وجود الزوج كان على اعتبار الجنة ، ودخل الروحان لحد أو السكن الذي احتاره الله بهما ليبدأ حياة لا يذري من ملامحها إلا ما أس الله بهما معرفته فليست هذه الجنة نهاية مطاف ، ولكنها مرحلة سوف تشهد أحداثاً ومضواً في قصة حياة على هذه الأرض

عسى أن من الضروري أن نشير هنا إلى دلالة اللفظ (الجنة) على (المستان الأرضي) هي دلالة الحقيقية والأصلية وفي مقابلها دلالة اللفظ على (دار النعيم الأخرى) ، وهي دلالة محاذية ، جاء بها القرآن ، كما جاء بالدلالة الحقيقية ومن ذلك ما جاء في سورة (النجم) وفي سورة الثانية نزل - من قوله تعالى ﴿ إِنَّا بَنَاهُمْ كَمَا بَلَّوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ ولا يستنون ﴿ [النجم] وهو أو من استعمال اللفظ (الجنة) في القرآن ، فجاء به على دلالة الأصلية (المستان) ثم شئ يذكر الجنة الآخرة في نفس السورة ، في قوله تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ حُجَّاتُ النِّعَمِ ﴾ [النجم] ، وكان القرآن قصد إلى إثارة انقاسة بين (حنة) الدنيا ، وهي عرصنة لسوارل ورجات النعيم) في الأحرد - يديها المنقور ، وذلك في فترة صكرة حد من نون الوحي القرآني - سورة النجم هي ثانی سور القرآن نزل

وعود إلى الجنة وسكنها المدين رودهما ربهما بكل ما يلزمهما من تسهيلات وتحديات من حد أسيس عليهما ولكن هبوات لأدم وروحه ،

وهما حدث عهد بالتكليف ، قليلا الحيرة بالأعيب العسر وأحلاقه
الوصيفة هيئات لهما أن يقارنا ما واحبا معه من إمراء ، آثار
شبهتهما ، وحرك عرائرهما

لقد كن توحيه الله بهما ﴿مُحَلًّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ﴾ وما أعظم ما أتاح بهما من نعم ، وما منحهما من الحرية ،
بالقياس إلى ما منحهما منه وحاء الشيطان يوسوس لهما ، صارفا لهما
عن نعم الله الوفيرة واساحة مركزا على تلك الشجرة المحصورة ، وهي
معيار الطاعة والمعصية جاء الشيطان قائلًا لهما ﴿مَا يَهَاكُمَا وَبِكُمَا عَنْ
هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَكِينًا أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٤﴾ [الأعراف] ، كنت
القضية واضحة ، تتعلق بتوحيه الله سبحانه لهما ألا يأكلا من الشجرة
وكان هدف الشيطان أن يأكلا من الشجرة وأن يفعل ذلك بأي ثمن من
لذات والحدع ، فهو إما التصادم بين أمر الله وهدف الشيطان ، وقد بدا
يمارس مهمة الإغواء وينفذ وعدده الذي أعلنه ﴿لَأَرْسِلَنَّ لَكُمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَعْوِيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ [الحجر] ، ولا ريب أن تلك الشجرة كانت معربة ،
تدعو إلى تحريره مدافعها وجاء إبليس بكلام كله كذب ، مرتبط بين أشجاره
والارتقاء إلى درجة الملائكية ، أو تحقيق الحلول ، وكلا الأمرين مطلق
لعدم وروحه ، لقد علما أن ملائكة مقربين ، مطوقين من أسور لهم
عند الله الدرجات العلى كما علما أن كل نعم لا محالة رائل بسوء كما
عنيت أحيال قلوبهم ولا مهرب من الموت إلا بتحقيق الحلول وما أعز
مصلبا وما أهون وسيلة ، أن يأكلا من لشجرة محرومة من
تكلفهما ذلك إلا أن يمدأ أيديهما إلى ثمرها ، وراهما تعقبا بالحوار في
هذه التحريم أن الملعين أحد نعم لهما بالله به يريد صلاحهما .

صاح لهما ﴿وَقَدْ سَمِعْتُمَا إِنِّي لَكُمْ لِمَنِ الْأَصْحَابُ﴾ ﴿٥﴾ [الأعراف] وهو
كاتب في كلامه ، كاذب في قسمه ، ولكنهما لم يتصورا أن يوجد من
بحرؤ على الكذب بهذه الصورة العاجزة حتى يبو كان إبليس ، وعاب
عليهم تماما في هذه اللحظة تحذير الله بهما ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِرُوحِكَ فَلَا يَخْرُجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿٧﴾ [صه] وعلا صوب الشيطان
في نسيهم بدعوتهما أن يأكلا من الشجرة ، ﴿فَلَاكُمَا مِنْهَا﴾ في لحظة
دهون وضعف وكانت القصة التي قصصت ظهر البعير كانت المحطة
التي جعلتهما من الصائين يا لهول المرقف

آية شجرة هذه التي كان الاقتراب منها سبب في نتائج تلك النتائج
النهالة في حياة الإنسان

لنسا ميم إلى لتحويل على معرفة نوعها ، أو أثرها ، فكل ذلك لا يهم
إد ما قيس موقف معصية الإله عظيم ، رغم التعدير والتذكير ، يقول
لأستاذ سيد عصب (وسكت ابقرون عن تحديد هذه الشجرة ، لأن تحديد
حسبها لا يريد شيئا في حكمة حظرها ، مما يرجح أن الحصر في ذاته هو
المقصود ، فقد اس الله بهما بمتاع الحلال ووصاهم بالامتناع عن
المحظور ، ولا بد من محذور يتعم منه هذا الحصر أن يقف عند حد وأن
يدرب المركور على صفة من الإرادة التي يصسط بها رعبه وشهوته ،
ويستعلي بها على هذه الرغبات واشتهوات فيطو حاكما بها لا محكوما
بها كالحميوان فهذه هي خاصية (الإنسان) التي يفرق به عن حيوان ،
ويتحقق بها في معنى (الإنسان) (الصلال ٨ ١٢٩)

وهكذا - رغم التحذير الإلهي - سقط الروحاني على شرب عوايه
فقدأهما بعزور غم داف الشجرة بدت لهما سوء بهما وطعنا يحصصا عليهما

من ورق الجنة. ﴿٢٦﴾ [الأعراف] وعبرة القرآن (فلاهما مغرور تعنى أنه أوقعهم في العرور والانخداع حين استدراجهم إلى الحصيص والتدلية الإسقاط إلى الأسفل وتلك هي النتيجة الأخلاقية التي قصد إليها الشيطان أن يكشف عن ضعف آدم وزوجه لأهلهما - في رأيه - لا يستحقان التكريم الذي حصهما الله به ، وبذلك لم يعد الشيطان وحده هو المتورط في المعصية بل (ستوى الماء والحشة) ، فهما في الحقيقة سراء ، غير أن وصف القرآن للأثار السلبية للأكل من اشجرة يستأهل الوقوف عنده والتأمل في واقعة المعقول

لقد تناقل المفسرون رأياً واحداً عن أسوأة وهي العورة وقالوا - دور اختلاف - إن نتيجة الأكل من الشجرة كانت ظهور عورة كل منهما لنفسه وبصاحبه ، وكان من قس لا يريان ذلك لوراة سواتهه عنهم واعترب أن يقول صاحب المدر (والأعراف عدى أن معنى ظهورهم لهما أن شهوة التدسس دبت فيهما بتأثير الأكل من الشجرة ، فديهنهما إلى ما كان حفى عنهما من أمرها ، فحجلاً من ظهورها وشعراً بالحاجة إلى سترها وشرع يخصفن ، أى ، يلزقان أو يصعان ويربطن على أدابهما من ورق الجنة) (المدر ٨ ٣١١)

وكل ما يقال في هذه المسألة هو محض اجتهاد يسمح به أسوب الآه ووصفها لا حدث وعلى ذلك يجوز أن يحتهد في فهمها اصطافاً من الملاحظات الآتية

١ - أن القرآن ذكر (لسوأة بالجمع مصفاً إلى معنى ، وهو ما يعبر أن ما يد منهم ليس عورتهم بل هي عورات كثيرة ولو كانت نعد لبعيصة هي المقصودة بقال انص اكريم (بدت لهما سوأتاهن) لأن لجمع يوحي لنا بمعنى آخر

٢ - ففراض أنهم مرجعا رؤبة ما لم يكون يريده مجالفا معنى الروحانيه ، وسنة الله فيها ، وآراء المفسرين قائمة على افتراض أنهما أول روحين في تاريخ البشرية ، وهو أمر أثبتنا خلافه فقد كان الاتصال الحسى بين الذكور والإناث - منذ ملايين السنين - بلا قصد أو شره حلال لعهد بشري حيث لم يكن دين ولا تكليف

٣ - أن آدم لم يكر يعيش في الجنة عارياً بدائياً ، وهو ما قرره القرآن في قوله تعالى ﴿ يا أي آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يسرع فيهما لباسهم ليريهما سوءتهم ﴾ [الأعراف]

٤ - قوله تعالى ﴿ رطفت يخصفن عنهما من ورق الجنة ﴾ [الأعراف] يؤكد أن الضمير في (عليهما) لا يعود على (لسوأت) ، ولا لقرن (عليهما) ، بل إلى عائدة الضمير هو (آدم وحواء) بشخصيهما ، ولصورة كما تبدو لنا في موقف الروحانيين صورة مثالة

فقد شعرا حين راق لشجرة أنهما خائف أمر ربهما ، وقد حصرهما من الشيطان تحذيراً صارماً ومعنى ذلك غضب الله عنيهما ، وهو ما هيح مشاعرهم ووضعنا في مواجهة عاقبة لا يحتملها

وركبهما لدم من هذا اتعري أمام الله ، فاحداً يحاول الانتحاض والاستتر حياءً منه وحجلاً وذلك بأن يتحدا من ورق الجنة عصاء يسدهما ، وكانهم يبيلان عليهما هذا الورق

ونبأهم في هذه الحال البعينة ﴿ يادهم ربهم ألم أنهكم عن ملكما اشجرة وأقل لكم إن الشيطان لكم عدو مبين ﴾ وكان هذا النداء بمثابة حبس الإيقاد لهما بحقائقه وقالوا ﴿ رب طمنا نفسا وإن لم يعفرت وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف]

الفصل السادس

اللغة والأسماء القديمة

الله

الملائكة - آدم - إبليس - الشيطان

الله

كان انقراں ولا يراں - لوثيقة اللغوية التي تعتمد عليها في معرفة لأسماء التي وردت في قصة لوط وما يتصل بها وقدم الأسماء على الإطلاق هو لوط لحالة (س)، وهو الأول بلا بداهة والآخر بلا نهاية، والمعروف أنه قد طهروا (الإنسان) - ثم يكن لغير معروف شيئا سوى ما بهتة لهم طبيعة مرحلة النمو التي يعيشونها، فمن أن يكون العقل، ومن أن تتكون اللغة لم يكتروا يدركون شيئا عن حقيقة الحياة وطبيعة الوجود، إني أن كان اصطفا (آدم) معرفت الطبيعة حالها، بدءا من معرفة دم برية، وهي نفس الموقف برزت أسماء بعض الحيوانات للملائكة - اسشر - آدم - إبليس - ولا ريب لدينا في بها أسماء قديمة، استخدمت قبل أن تظهر العربية إلى لوجود، وقد وردت هذه الأسماء في كلام الله ضمن حديث انقراں عن قصة الحق، ولي قصص لوجود اسشرى والإنساني معا

وحيث لا يتصور أن هذه الأسماء كلمات مأخوذة عن العربية للتعبير

وهذه الكلمات هي التي أشارت إليها الآية الكريمة ﴿فَتَلَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٧) [المائدة]

وفد من القرآن عن الموقف كله بقوله ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٢٨) ثم اجتاه ربّه فتاب عليه وهدى (٢٩) ﴿[صه]

وأرجع سبب الوقوع في العواية إني أنه لم يكن عامداً من أساساً ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (٣٠) ﴿[م]

ويمكن تفسير سببان آدم بأنه داخل في مصموم الجهالة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ (٣١) [النساء]

وهو موقف يختلف عن موقف إبليس الذي علم أسوء، وعمله وأصر عليه، ولذا استحق آدم وروجه أن يتوب الله عليها

وعند هذا المقصع من تسلسل الأحداث اكتملت معادلة الحياة الدنيا بكل عناصرها (الأمر - الوسوسة - الخالعة - اسم - المعقرة) من الأوان لمرول آدم إلى معترك لحياة أدب وقد ترسخت في عقده ونفسه تلك المعادلة بعد أن هيئت له الساحة وأخلت الأرض من المفسدين وسدكتي آدماء، ولم يعد فيها سوى لإنسان الحدس (دم أنى الإنسان، وحواء أمه) في مواجهة إبليس عدوها اللدور، وقامت الحياة على هذه العداء استبدال ﴿قَالَ اضْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٣٢) قال فيها تخبون وفيها تسبون ومنها تحر حون (٣٣) ﴿[الأعراف]

ولسنا بحاجة إلى تكرار أن الأمر باليهود مذهب الأمر بالخروج

عن شخصيات القصة ، فقد كانت القصة قبل أن تكون اللغات بالشكل المعروف ، نوعاً وعداداً ، وقد عرفت تلك الشخصيات بهذه الأسماء التي جاءت في كلام الله ، وهذا هو السر في شيوعها في كثير من اللغات الإنسانية بصور نطقية متقاربة ، فلغظ الجلالة (الله) معروف هكذا في اللغات السامية القديمة ، ومنها العربية ، كما تعرف اللغات الأوربية .

ولقد حاول الاشتقاقيون أن يردوا لفظ الجلالة (الله) إلى جذر اشتقاقى ، فقال كثير منهم بأنه مشتق من (أنه) بمعنى فزع ، أو بمعنى تحير ، أو بمعنى : عبد ، أو بمعنى أقام ، وقال بعضهم : إنه من (وَّله) بمعنى : أحب ، وقال غيرهم : إنه من (لاه) بمعنى احتجب أو ارتفع .

وأغلق بعضهم باب الاشتقاق وقال بأنه غير مشتق

وغريق ثالث قال : بأنه غير عربى ، فهو سريانى - أو عبرانى .

والأكثر على أنه عرمى

والذى نراه أن ذلك كله خطأ في ظلحاء مدلهمة لأن الله سبحانه أخير عباده بأنه (الله) ، وطلب منهم أن يعبدوه ويوحدوه لأنه (الله) . والخطاب هنا ليس عربياً لقوم عرب .. بل هو خطاب إلهى كوتى صدر عن خالق الكون ، والإنسان ، واللغات ، فهو إنَّ ليس اسماً صاعته ألسنة المخلوقات .. بل تعلقته هذه الألسنة من الملا الأعلى علماً على ذات المعبود بحق ، واستوعبته العربية ، كما استوعبته سائر لغات التي تلقت رسالات السماء ، وعلقت به حسب فوائدها ، وتقليدها ، وقدراتها النطقية . فلا ينبغي أن يدرج في معجم العربية على أنه كلمة من كلماتها

بل على أن الإنسان العرمى نطقه هكذا كما نطقه ، وكما نطقه غير العرب . وقد اخترع العبرانيون إلهيم ، أو يهوه كما ورد إيل ، وإل ، ولكن يبقى (الله) ، وتتلاشى كل الاختراعات أو الواردات فلغظ الجلالة هو أصل الأسماء ، وأولها . ومصدرها ، كما أنه مصدر اللغات والألسنة ، وصدق الله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ .. ﴾ (الروم) [٢٢] ، وهو القديم ، وما سواه محدث ، وهو قديم بداته ، وباسمه قبل أن تكون اللغات بل من أن تكون انكشأت

الملائكة

وأما عن (الملائكة) فهي كلمة إسلامية أيضاً .. لم تستخدم في العربية قبل أن يرد ذكرها في بداية الوحى ، في سورة مدثر ، وهي رابع سور القرآن مزولاً ، وقد ردها اللغويون إلى الجذر (ألك) ، الذى اشتقت منه كلمة (مأك) . ثم حدث قلب مكانى ، فصارت (مَلَك) ، ثم جمعت فصارت (ملائكة) . ولا دليل على استخدام في العربية قبل القرآن .

وأعطاب (الملائكة) . وفي مقدمتهم (جبريل وعزرائيل) ، جاءت تسميتهم مركبة . وفي شائعة في كثير من اللغات . فكلمة (جبرائيل) حروفاً الأولى (جبر) بمعنى (رجل) وكلمة (عزرائيل) جزؤها الأولى (عرر) بمعنى (قوة) . وهما مصاعمتان إلى بطة (إيل) أى الله ، وكان الأولى بمعنى (رجل الله) ، والثانى هو (قوة الله) ، وهى ترجمة متخيلة بقدر ما تسعه اللغة الإنسانية ولا فئس في الملائكة رجال أو نساء ، ولا يليق أن تحصر قوة الله في من مخلوق واحد .. بل إن التجريد هنا غير لائق ، إذ إن القوة (ومنها القوى) من أسماء الله وصفاته

العسنى . وليست ملكاً بعينه ، خاصة أن اختصاص تَوْفَى الأحياء مَعْرُوفٌ في القرآن إلى الله سبحانه ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر : ٤٢] وَمَعْرُوفٌ إلى رسول الله من الملائكة ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّاكُم بِفَضْلِهِ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وَمَعْرُوفٌ إلى ملك الموت ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٨] ، أي أن قود الإمارة ليست محصورة في ملك بعينه ، وعلى أية حال من القرآن لم يذكر من أسماء الملائكة سوى (جبريل وميكال) ، ولسنا مكلفين بترجمة معاني هذه الأسماء أو التعامل معها على أساس معانيها ، فالأسماء لا تغفل ، إنما هي كتل صوتية لا يلتفت إلى مكوناتها

إن ذلك يعني أن هذه التسميات كانت قبل اللغة العربية ، بل هي فعلاً من اللغات البشرية ، وأن ما حاول الاشتقاقيون أن يستخرجوه من معاني في ضوء الربط بين الاسم ، وحذره اللغوي المفترض - هو في حقيقة امتعاض يقلب القصبة رأساً على عقب "

آدم

قد حاول الاشتقاقيون أن يجدوا لآدم أصلاً في (أديم الأرض) الذي أتى منه ، والحق - في نظرنا - أن أديم الأرض اشتق من (آدم) الذي هو (الإنسان) بالمعنى العام في كثير من اللغات ، وكان مرتبطاً به ، أب ، والطين ، فإطلاق على مادته التي خلق منها أديم ، على سبيل التقدير من التصور ، وهو مجاز مرسل علاقته الأصيلة والعربية : إن التصور

يمكن بصفا - يقال إن (الآدم) بمعنى : الخلد ، مشتق كذب مر

(آدم) ، ويطلق على الجلد : البشرة ، وللبشرة علاقة لفظية بالكلمة القديمة الأولى في ملحمة الخلق ، كلمة (بشر) التي تعدت بها العربية - كما سبق أن قلنا -

إبليس

أما كلمة (إبليس) فهي موجودة في لغات قديمة كاليونانية (ديابولوس) ، وهي كلمة تبدو مركبة من جزئين : (ديا + بولوس) ، وقد أخذت اللغات الأوروبية ، باعتبارها أحدث من اليونانية - الجزء الأول من التركيب - (ديا) ، وتطفتها (ديابل) (Diable) ، وأخذت العربية وأخواتها الساميات الجزء الثاني من التركيب كما هو (بليس) مع تنوع في طريقة النطق ، هذا ما قرره محقق الزينة

ولا يبعد في تقديرنا أن تكون الكلمة من عطاء القرآن للعربية .. وهي أقدم اللغات السامية فلم نعثَر على ما يشهد بوجودها قبل الإسلام في لسان العرب .. بل إن الكلمة ليس لها مقدير بلفظي أو دلالي في العبرية ، وقد وردت لأول مرة في القرآن في سورة ص (ص) ، أي ، في سياق قصة آدم ، وفكر المعجم الوسيط أن جمع الكلمة إبليس ، وأبالسة

أما .. كيف عالج أهل اللغة لفظها ومعناها ؟

فقد قال اللغويون العرب : إنه على وزن إفعيل ، مشتق من إبليس الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجة ، ويشدل هو من يفسد ، قالوا في تفسير قوله تعالى ﴿فَبَدَأَ هُمْ يُجْلِسُونَ﴾ ، قال ناشور ، قال ابن عباس : (لما لعنه الله إبليس من رحمته وقال الفراء : مسنون - يعني في العذاب) ، وقال (المجلس) : ليس من الحياة والنفس ، وهو

أيضاً المقطع الحجة ..) .

ويقال أيضاً : إبليس ، إنا سكنت ولم يُجر جواباً .. ، ويقال : **المَيْلُسُ** .
الحرين الدائم ، وقد أبليس الرجل ، بلاساً ، أي : اكتئاب وحزن ، وفي قوله
تعالى : **﴿يَبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾** أي : يتندمون ويكابون وييبسون ، وقال
مجاهد في قوله تعالى : **﴿يَبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾** قال الإبلاس .
النصيحة ، وقال غيره : الإبلاس الخشوع .. **﴿فَإِذَا هُمْ مَبْلِسُونَ﴾**
قال : خاشعون ، وقال غيره : المَيْلُس المتروك المذلول .

قال صاحب الزينة : (وكل هذه المعاني قد جاءت في الإبلاس ، وهي
قريبة بعضها من بعض ، فكان إبليس هو مأخوذ من ذلك ، لأنه افترض
بعضيانه ، فيئس من رحمة الله ، وحزن وندم ، فصار مخذولاً مقروكاً ،
ثليلاً منقطع الحجة ، ساكتاً ، فقيل له إبليس) (الزينة ١/ ١٩٢-١٩٣)

هذه - كما قلنا - رؤية الاشتقاق بين العرب ، ويكفي أن نلاحظ خطأ
استنبطها حين رأى صاحب الزينة أنه قيل له : (إبليس) بعد أن حدث له
ما حدث ، عسى حين أن (إبليس) كان قبل أن يحدث شيء من ذلك ! وإن
أطلق عليه بعضهم قبل افتضاحه (عزازيل) ! ولم يثبت ذلك !

ويرى علماء الغرب أن الكلمة دخلت مصرّة في العربية من اليونانية
(نيبابوس) ، وجاء في المعجم الكبير ١/ ١٦١ : أن العرب حدثت (ديا)
في أول الكلمة ، وتوصلوا للنطق بإسكان بزيادة الألف في أوله ، وأنه لم
يزد ذكره في المعاجم الأرامية واسريانية

يقول محقق الزينة (فقد يكون المعرب أحدثه من اليونانية مباشرة
بإصطلاحهم بنصاري العرب الموالين للكنيسة الميترنطية ، كما أشار إليه

حجري) (ابرية : السابق - هامش) .

ونقول بعد هذا كله ما سبق أن قناه من أن ذلك افتعال يقلب القضية
رأساً على عقب ، والذي نراه هو أن اللفظ قديم ، مستمد أساساً من علم
الله بالقضية ووقائعها وعناصرها ، وأن هذه الألفاظ دخلت اللغات
الإنسانية عن طريق الأديان ، ولكتب المقدسة ، بأية لغة كانت هذه الكتب .
وقد يتلخ هذا مع ما قاله أبو عبيدة من أن اللفظ اسم أعجمي ، غير أن
الأعجمية تعني في اصطلاح العلماء : أن اللفظ (إبليس) مستمد من لغة
غير عربية ، وهو ما نحاول هنا أن نثبته ، فاللفظ مستمد من علم الله ،
وهو اسم بذلك (المخلوق الملعون) ، ويكفي أن نتعامل معه بهذا الاعتبار ،
دون حاجة إلى تأصيله في العربية ، أو تحليل مادته اللغوية ، وإرجاعه
إلى جذر اشتقاقى ، فذلك كله في نظرنا تثقيق لا يفيد اللغة شيئاً ، مهما
فسر (الإبلاس) به ذكر من المعاني السابقة ، وقد حدثت للكلمة في
الاستعمال العربي بعض التضج ، فجمعت ، واشتق منها (الأبلسة) .

الشيطان

أما كلمة (شيطان) ، وجمعها : شياطين فهي عربية قديمة ، وقد تكون
من الأصل شطن بمعنى البعد ، فالكلمة بوژن فيعال ، والنون أصلية ،
وقد تكون من الأصغر : شيط ، شاط ، أي : احترق من الغضب ، فيكون
بوژن فعلاً نحو حيرن ، وهيمان ، فالنور رائدة (الزينة ١٧٩-١٨٠) .

ويطلق على كل عدو مضمرد من الجن والإنس والدواب ، شيطان .
ويقول العرب لكل منفرد تكوته وحلده ، قوى مستقل بنفسه ، متهملاً في

أمره شيطان قار جدير

أيام يدعوئى الشيطان من عربى وكُنْ يهوئنى به كنت شيطان

دى إن النساء يدعوئنه (شيطاناً) لتفرد به بأفعال الشيان من الدول وغيره

و ينطق اسم (شيطان) على الحية حفيظة الحسم صيحة المنظر . هو احد وجهى التفسير فى قوله تعالى ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات: ١٨١]

ومن صفات الشيطان (المارد) . وهو فى قوله تعالى ﴿ وَحَفِظَ مَنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات: ٢٠] وهو خارج عن لطاعة . ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ [٧] لعنه الله [١١٨] ﴿ [سء] ومن صفاته (الرحيم) فى قوله تعالى ﴿ هَاسِتَعْدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّحِيمِ ﴾ [٩٨] [الغفر] والرحيم هو المرجوم كاللعير أى (الملعون) وهو أيضاً كذلك بمقتضى الخطاب لأور إليه ﴿ وَإِنْ عَلَيَّ لَعْنٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [٢٨] [ص]

ومن صفات لشيطان (الغول) . وهو ساحر الجس . وكذلك (السعلاة) وهى ' حث من الغول وأعظمها سحرًا

ومن صفاته (بوسواس الحسد) . والبوسواس هو الذى يعنى بوسواسه فى يقوب . حتى يحتبى لإسار الحسد هو دى يه ب عند ذكر الله سبحانه

ومن صفاته (العرور) لم بوصف بسب عسر الشيطان . وهو وصف

على فعول . مثل ظلم وحقوق ومؤوم . صفات منلغة وقد يفسر (الطيف) أو (الطائف) بأن المقصود به الشيطان . وكذلك (الحيال) . ويدكر صاحب لربه أن من اشياطين حساً يقل به

(لخن) وهم الذين نضلون لئاس ويؤوبهم . وقد يدعوئهم إى لجنون يقال رجل محنر إذا كان به من من اجر والخال هو الحنور واحتلاط لعقل

ومن أسماء الشيطان (الطاعوت) . وهو وارد فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمَرُونَ بِالْعِزِّ وَالطَّاعُوتِ ﴾ [٥] [سء] وقول ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلِيَاءُ لَهُمْ طَّاعُوتٌ ﴾ [٢٥٧] [سقرة]

ومن أحسن اشياطين العفريت . وحمعه عفاريت . وهو وارد فى القرآن ﴿ قَالَ عَفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ أَن تَبْكُ بِهِ قُلٌّ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ [٢٩] [المدن] . والعفريت من كل شيء (المناع) ويدل على عفرية بقرية . وعفارية وهو لوثق لسق شديد المصحح (السرية) [١٩١]

ولم يكر صاحب السيرة من صفات لشيطان لقربين وحمعه عرباء وقد ورت الكلمتان فى أى القرآن لاولى فى بوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [٣٠] [مدحرب] . وإثابة فى قوله تعالى ﴿ وَفِيصْنَا لَهُمْ فَرِيئًا لَهُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [٢٤] [مصب] كما ورد ذكر (القورين) فى سورة (ق) فى الآيةين

﴿ وَفِي فَرِيئَةٍ هَذِهِ مَا دَى عَيْنِهِ ﴾ [٢٤] [و] وقوله ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ ﴾ [٢٤] [و] ويكر كات فى صلال يعيد [٢٠] [و]

وورد ذكر ابليس أيضاً في سورة النساء . في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [نساء]

وواضح أن وظيفة القرين مقتضى الآيات شر كل شر ، غير أن أثر وجود القرين انحصر في الغفلة عن ذكر الله ، أو محاولة الإغفال ، والمشاغلة بالدنيا ، والعكوف عيها ، دون تجاوز ذلك إلى اختصاص الشيطان الأكبر (إبليس) الذي يحرض على أن يحقق من وراء إغوائه الشرك بالله ، فهو يترك أسباب الشرك من المعاصي ، ومقدماته من الآثام - لمساعدته من شياطين الجر والإنس ، حتى إذا شارب الإنسان حدود الشرك تحرك الملعون بصوته وخيله ورجبه ليتم مهمته الكبرى ، ويشهد انتصار وعيده ، وتفوق العواية على الهداية

وجاء في الآثار ذكر شيطان اسمه (حنرب) ، فذلك في حديث مرفوع عن ابن مسعود : أن للشيطان لغة للإيعاد بالشر ، والتكذيب بالحق ، والقنوط من الخير ، ويبدو أن هذا الشيطان متخصص في الحيلولة بين المؤمن وصلاته . (زاد المعاد ٢ / ٣٩)

إبليس في القرآن

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن إحدى عشرة مرة ، منها عشر مرات في مكة ، ومرة واحدة في المدينة في سورة البقرة .

ويلاحظ أن مواضع ذكره لم تتجاوز قصة آدم في سبع مرات ، وجاء ذكره مرتين في غير القصة ، إحداهما في سورة الشعراء ، في سياق يتحدث عن أشركين . مِمَّنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ، قَالَ : ﴿ فَكَبَّكَرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ [٢٤] وجود إبليس أجمعون [٢٥] ﴿ [الشعراء] ، وموضوع

الآية حدود إبليس ، لا إبليس ذاته ، وإن كان إمام أهل النار ، والأخرى في سورة سبأ في سياق يتحدث عن موقفهم من دعوة الله ، فأرسل الله عليهم سبيل ليعرهم ، وسجن دلت عليهم مقال ﴿ وَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ] ، وواضح أن الواقعة تشهد بأن إبليس مائل بشخصه في الموقف ، فقد حقق وعيده حين قعد لبني آدم على طريق الإسلام ﴿ لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ - فدفعهم إلى اتصاد أشركاء وأصحبهم فكثروا من الغاوين .

فإذا لاحظنا أن إبليس لم يذكر في وحى المدينة سوى مرة واحدة ، في سورة البقرة - وأن أكثر ما ذكر كان في الفترة المكية . وفي قصة آدم وحدها - أدركنا أن سم (إبليس) ليس علماً على جنس من المخلوقات الحفية . بل هو اسم ذات تفردت بقيادة الخلق إلى الشرك . وهو الذي مثل لدور الأكبر في قصة بداية العهد الإنساني ، وقد كان لذكره في مكة مناسبة ضرورية ، حيث كثر أوليائه من كفار مكة ، وعناد الجاهلية ، فكان التركيز عليه لإبراز دوره ، والتفكير منه .

فأما في المدينة فقد برزت على الساحة أحداث أخرى ، حين كثر أنصار الحق ، وقامت دونه وصرحت المواجهة بين جند الله ، وأعدائه ، فناسب أن يقوم بمهمته معه ذريته من كبار الشياطين وصفارهم ، وهم الذين تم تعريف بهم وبشرورهم في كثير من آيات الوحي المكي والمدني ، على سواء

وقد أشار القرآن إلى إبليس ذرية ، فقال : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ .. ﴾ [الكهف] ، ولا ندرى كيف تكاثرت الشياطين من ذرية إبليس ، اللهم إلا إذا أخذنا بما ذكره صاحب

استنطرف من أن إبليس (لا يلد ، بل الملقح كالطير وبيص ويعرخ ، قيل إنه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان) (المستطرف / ٤٠٢) ، فإذا استبعدنا هذا من قياس التكاثر بين الشياطين على غرار تكاثر البعوض والحشرات ، فقد نتصور أن طبيعة إبليس النارية تفعل انتكاثر بما يشبه الانقسام ، فيحدث عند احتدام حلقه تولد الشرر ، فيكون من كل شرارة شيطان وليد ، يكرر برعاية أبيه ، ويبقى معه إلى أجله المسمى .

وبذلك يبرز دور الشياطين إلى جانب دور (إبليس) زعيمهم الأكبر وأبيهم الدعين ، ليتولوا إضلال المؤمنين عن طريق الاستقامة ، ودفعهم إلى المعصية ، من الكبائر والصغائر ، فمن الواضح إذا أن كلمة (إبليس) عم أطلق على ذلك الشيطان الأكبر دون ذريته من الشياطين والمردة وهذا لم يتسم باسمه أحد غيره ، فلم يرد في الاستعمال (إبليس الإنس) ، كما ورد (شياطين الإنس) ، وهم الذين نفخ إبليس في قلوبهم فصاروا به جنداً .

وربما نستطيع أن نتصور واقع العمل بين إبليس وذريته وجموده من الشياطين ، في ضوء دلالة النصوص القرآنية بحيث يتولى إبليس محاربة بني آدم ليصدهم عن الإسلام ، ويفرقهم في الشرك ، وفي كل ما يؤدي إليه من قول أو عمل ، وتلك مهمة رهيبة تتصل بالمبادئ والمعتقد والاديين ، على أن يتولى شية الشياطين مهمات دون ذلك ، في مجال الردبة ولشر .. كل حسب اقتداره على الإغواء والإضلال . وإشاعة الفساد فمنهم الذكي والعمر ، والبابه والكسول ، ولسوف نزيد الصورة وضوحاً عند استعراض النصوص الواردة بشأن (الشيطان)

على أن (إبليس) وصف في القرآن بأنه (شيطان) ، وهو ما سعى به

مثلاً .. قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿ وَعَادًا وَثمودَ وَقد تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّآكِهِمْ وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ ﴾ (٢٨) [العنكبوت] ، فهذه المهمة الصخمة ، المتمثلة في صرف هؤلاء الكفرة عن الإيمان ، وصددهم عن التوحيد - هي مهمة هائلة لا يقدر عليها سوى (إبليس) ذاته ، الذي وصف بأنه (الشيطان) - هكذا مصرفاً (بال) العهدة ، أي : الشيطان الذي تعرفون ، وتذكرون قصته ووعيده ، والموقف هنا مع عاد وثمود - الذين عاشوا في الفترة ما بين نوح وإبراهيم .

وأوضح من ذلك دلالة على أن المراد (بالشيطان) هو (إبليس) - قوله تعالى في سورة (يس) ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢١﴾ [يس] ، إننا نستطيع أن نطردها قاعدة في كل شيطان معرف (بال) ، فهو (إبليس) ، ويعتمد في ذلك أيضاً على دلالة السياق ، فإب إذا جاء اللفظ منكراً فلإننا نرجح أن يكون المراد به واحداً ، فالمراد به واحد من جنس اشياطين .

الشيطان في القرآن

ورد ذكر الشيطان في القرآن مفرداً ، وجمعاً في سياقات توحى باختلاف المعنى المقصود منه . وقد جاء مفرداً في التنزيل المكي ثلاثاً وثلاثين مرة ، وجاء مفرداً في التنزيل المدني ثمانياً وعشرين مرة أما وروده جمعاً - فقد جاء في التنزيل المكي خمس عشرة مرة ، وفي التنزيل المدني ثلاث مرات

ولقد نستطيع أن نميز بمض وجوه المعنى المراد من خلال ملاحظة ورود الكلمة معرفة أو بمكرمة كما سبق أن قلنا ، فإب إذا جاء مصرفاً .

(الشيطان) فهو (إبليس) ، وإذا جاء منكراً (شيطان) فهو واحد من جنس الشياطين (من ذرية إبليس) وقد جاء اللفظ منكراً (شيطان) معاً في خمسة مواضع هي على التوالي بحسب النزول

السورة السابعة (التكوين) ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (٢٥) ﴿ التكوين مكية

السورة الرابعة والخمسون (الحجر) ﴿ وَحَفِظَ مَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (٦٧) ﴿ [الحجر] مكية

سورة السادسة والخمسون (الصافات) ﴿ وَحَفِظَ مَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ (٦١) ﴿ [الصافات] مكية

السورة الثمانية والستون (الأعراف) ﴿ وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَبِيضٌ لَهُ شَيْطَانٌ ۚ ۞ ﴾ [الأعراف] مكية

السورة الثالثة والتسعون (النساء) ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ (١٧) ﴿ [النساء] مدنية

ويلاحظ أولاً أن الآية في سورة التكوين هي أولى الآيات التي تعرضت ذكر الشيطان في القرآن فجاءت به منكراً ، وقد كانت العرب تعرف (الشيطان) وراء في أصناف اشعراء ، فجاء القرآن ليبين أن تكون آياته كنيسة الشعر من طائف الشيطان الذي عرفوه ﴿ وَمَا هُوَ بِمَنْ شَرِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (٢٥) ﴿ [التكوين]

وبحسب أن وصف الشيطان بأنه (رَجِيم) هو الحريم في هذه لفظة تعريفية للشيطان أن يرجم بالحجارة وهو ما لم يعرفه من لحاظه ولكنه يخبر بهم إن ما يعنيه الشخص على من الشاعر لا محض هدية ، ولا يدعو إلى خير ، فهو عكر ما يتلو

عليكم محمد ﴿ ۞ ﴾ ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) ﴿ [التكوين] وقد صحت الوحي بعد ذلك عن ذكر الشيطان - منكراً ومعرفاً - صلبة ثلاثين سورة - حتى جاء ذكر (إبليس) في سورة (ص) لأول مرة وعرض ذكر (الشيطان) مفرداً بعيداً عن قصة آدم ، أي في طارٍ مستقل وهو في قوله تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَىٰ الشَّيْطَانُ بَصْبَ وَعَذَابٍ ﴾ (٤١) ﴿ [ص] ، وجاء ذكره جمعاً في قوله تعالى ﴿ وَشَیَاطِينُ كُنَّ بَاءً وَعَوَاهٍ ﴾ (٢٧) ﴿ [ص] ، والآيتان تتحدثان عن أمور تنصير بقصتي سيدين كريمين أحدهما أيوب ، الذي دعا ربه أن يخلصه من وسوس الشيطان أثناء مرضه وإبيلاته ، والثاني سيمار الذي سحر الله به الجن والشياطين في أمور تتصل بما وهبه الله من ملك لم يوهب لأحد بعده ، وحين تأتي قصته ثم في آخر سورة (ص) يذكر (إبليس) لأول مرة وكأنه لا علاقة له بالشيطان فكل منهما مجاله ، ولكن الوحي يبرل بعد ذلك مباشرة سورة الأعراف (التاسعة والثلاثين) فيجمع بين إبليس والشيطان في قصة آدم ويطابق بينهما ولو أننا مرنا بالآيات حتى قوله تعالى ﴿ نُوسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ لشعرنا أن كلمة (الشيطان) في هذا السباق تأتي في موقع لوصف أي ذلك بشرير المحرم ، وملحظ الوصفية بما أظهر من ملحظ لاسمية

ولما كان كل من إبليس والشيطان منسبين إلى حقيقه الجن ، فقد برزت في الأعراف ية تذكر (الجن) هي قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ دَرَأَ بِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (٤١) ﴿ [الأعراف] ، وجاء بعدها مباشرة سورة الحجر (الأربعون برولاً) لإكمال الصورة بكل مكرها ، ولتتفرق أهم القرون على أحرار من عدم الحق ، ذلك انعلم الذي وصف في سورة الأعراف من به (قبلاً) فقال ﴿ إِنَّهُ يَرْكُمُ هُوَ وَفِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُمْ إِنَّمَا سَمِعَ الشَّيَاطِينُ أَوْيَاءَ سَمِعَ لَا يَرَوْنَ ﴾ (٢١) ﴿ [الأعراف] ، وذلك كتمل التعرف

بعائمه اجن - غلام الخفاء .

وبعد قلنا الآيات الخمس السابقة التي تذكر الشيطان - مكرًا - على الصفات اللصيقة بشخصه ، وهي أنه رجيم مارد مريد ، وكأن هذه هي الحد الأدنى لما يدم به أي شيطان . فاما أكثر الصفات فقد ذكرتها الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر (الشيطان) معرفاً بأداة التعريف أو مقترناً بصفات تزيد صورته جلاءً وقبحاً .

غير أننا نقرر هنا أن متابعتنا للآيات الكريمة في ستة وخمسين موضعاً أكدت لنا أن المراد بالشيطان معرفاً - غي أكثره - هو ابليس ، وقد أثبتت له المنصوص الصفات التالية :

- فهو موسوس فتان عمو مبين يسليخ الإنسان من آيات ربه ويربده تعرية . (الاعراف) .

- وهو عمو مبين مثاله يريد من بنى آدم أن يعبدوه . (يس)

- وهو نذل يخل من يصادقه ، ولا تؤمن موالاته . (الفرقان ، مريم)

- وهو يدفع حزبه إلى سعي جهنم . (فاطر)

- وهو كذاب مخادع فاجر لا يخل من كذبه . (طه) .

- وهو يزين الأعمال القبيحة لتبدو جميلة ، حتى يضل الأفراد ، الأمم (العنكبوت / النمل / النحل) .

- وهو يدفع إلى الجريمة والقتل بحكم عدائه لقاتل والمقتول (لقصاص) .

- وهو كفور بعمه ربه . لا يملك تحقيق ما سعى به ، سوى عرور (الإسراء)

- وهو يدع الناس ليكيد بعضهم لبعض ، حتى لإحوة . (يوسف) .

- وهو يلقى بالغفلة على العقول لتتسى ذكر الله . (يوسف / الكهف) .

- وهو يقسى القلوب ، ويغشى عي العقول ، ويض عن ذكر الله عند الأكل . (الأنعام) .

- وهو يفرق الأبناء على آثار آبائهم من أهل النار . (لقمان)

- وهو يحتل فراغ النفوس ، وينزع بوسوسته في لعقول . (فصلات)

- وهو يصد عن توحيد الله . (الزخرف) .

- وهو منافق وقح ، يعد ثم يخلف في تبجح . (إبراهيم) .

- وهو يعد بالفقر ، ويأمر بالفحشاء والمنكر ، ويتخبط بنى آدم . (البقرة / النور)

- وهو وراء ظاهرة الهرب من الميدان ، وهو يزرع الخوف في نفوس أوليائه . (آل عمران)

- وهو وراء الموبقات كالضمر والميسر والأنصاب والأزلام ، ليثير العداوة بين الناس . (المائدة)

- وهو قرين السوء ، بعيد الإضلال ، ضعيف الكيد ، لا يعصم من اتباعه إلا فضل الله . (النساء)

- ولايته خسران ، ووعده غرور . (ق) .

- وهو غنة لمرضى القلوب قسستها . (الحج)

- وهو قائد المرتدين على آديارهم ، يسور لهم رتددهم . (محمد) .

- وهو يوغم الإنسان في الكفر ثم ينحلي عنه ويسمراً منه دعوى

البحوف من الله . (الحشر) .

- وهو وراء التناجى بالإثم والعدوان والمعاصي ، ووراء خسارة حربه .
(المجادلة) .

فهذا عن صفات (الشيطان) في القرآن ، سواء أريد به (إبليس) بذاته ، أم كان المقصود جندياً من جنوده ، أو شرارة من ذريته . ربي كما رأينا صفات تغطي حياة بني آدم ، في كل أحوالهم الدنيوية والأخروية . وقد رجحنا أن يكون المراد بالشيطان في هذه النصوص (إبليس) ما دام اللفظ معروفاً

فأما عن ورود اللفظ مجموعاً (شياطين) - فمن الصورة تختلف ، لأن النشاط الشيطاني سوف يستخدم جماعات كثيرة في تنفيذ مخططاته على مستوى جماعي . ويمكن أن نميز في استعمال الكلمة ما بين معرف بأن - ومعرف بالإضافة

ونبادر إلى تسجيل ملاحظة هي أن استعمال الكلمة مجموعة جاء في الوحي المكي في خمسة عشر موضعاً ، وجاء في الوحي المدني في ثلاثة مواضع .

الشياطين في المرحلة المكية ،

- أولياء للدين لا يؤمنون . (الأعراف) .

- وهم محشورون يوم القيامة مع الكاذبين . (مريم) .

- وهم يدفعون الكافرين إلى المعاصي . (مريم)

- وهم يتنزلون على الكاذبين . لأن أكثرهم كاذبون . (الشعراء)

- وهم يحاولون أن يستهوا المهتدين . (الأنعام) .

- ومنهم شياطين من الإنس ، كما أن منهم شياطين من الجن .
(الأنعام)

- وهم وراء الجدل في شريعة الله (الأنعام)

- وهم إخوان المذبرين . (الإسراء)

- ولهم همزات ينفي الاستعاذة بالله منها (المؤمنون)

- وقد أعد الله لهم رجوماً في الدنيا من هجوم أسماء . (الملك)

وفي المرحلة المدنية :

- هم وراء ظاهرة النفاق في مجتمع المدينة . (البقرة) .

- وهم كذلك وراء انتشار ظاهرة السحر الذي لا يعرفه إلا كافر .
(البقرة) .

ولا مجال لتصور انحسار نشاطهم في المدينة ، لأن ما جاء في القرآن صادق الدلالة على ما يراد به ، في كل مكان وفي كل زمان ، غير أن الصورتين اللتين سجلهما الوحي عن انتشار الشيطان في المدينة لم يكن لهما مكان في مكة ، وإنما انتشرت في المدينة ، وهما انفاق والسحر ، وكلاهما بسبب من الكفر . بل هما أشد ألوان الكفر . وما زالت المجتمعات الإسلامية تعج بمواكب المنافقين وأحزابهم وموافقهم ، وما زالت دولة السحر قائمة ، حتى في معازل الكبار ومضجعهم . تساندتهم جماعات من المتأجرين مائدين والشعوذة ، أو من الأغنياء ، أعيان العم بالدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هؤلاء هم (شياطين الإنس) الذين عادوا الأنبياء كما قال سبحانه . هو وكذلك جعل لكل سيئ عدواً شياطين الإنس والجن . . (١٦٧) * (الأنعام) .

وحين تنعصر (الإنسان) وطيفة الشيطان . فيه تكون أحدث طبعه ،

خاتمة

تأملات في المسألة الخلقية

على قمة عالية من قمم جبال الالب - وقفت إلى جوار شجرة من
لأشجار العتيقة أنظر إلى السهول المنبسطة ، أسفل الجبال ، ثم أنزله
بعيني وراء لأعراش ، والقمم المواجهة ، تارة أميط ، وتارة أصعد ، وهي
متنزه لا يتذوقها إلا من سافر إلى تلك الأصقاع .

كنت في رحلة لى سويسرا ، لأعالج ما ألمّ بعيني من قصور ، أشار
بذلك الأصباء معاجرون في مصر .

وكانت رحلتى إلى جبال الالب وعداً من أحد الأصدقاء ، صعدنا وهو
يصعد بنا الأعالي ويجوز المنعطفات النعبانية الخطرة ، حتى استقرينا
على منطقة مبسطة ، بنى فوقها أحد المعاهد الرياضية .

وبينا أنا ساهم في متابعة المناظر الخلابة ، وما صنعتها يد الإنسان من
مباهج ممتعة عزائرين - وقعت عيني على ورقة شجرة تتقاذفها دفعات
الرياح اللطيفة ، فتجعلها ترسم خطاً متعرجاً أثناء هبوطها إلى أسفل
لوادى . وقد تدور دورات حلزونية ، حسب اتجاه الرياح وسرعتها

ومعت في ذهني لحظات ذاية من آيات القرآن ، ملأت الموقف كله ،
وشعلت المدفئة أثنى سرعان ما شددت إليها بعد ذلك كل الرفاق على قمة
الحجر وهي ذاية لتاسعة وأحمرسون من سورة الأنعام : ﴿ وعنده

وأشبع كيداً ، وأعظم إفساداً من لجس وشيئصبيهم ، وقد شهد عصرنا
أجداً من هؤلاء الشباصين في شكل مفكرين ، وساسة وحكام ،
وأدباء ، وطواعيت و (هلاقيين) - من صبح التعبير - وقد جمعوا في
دواتهم صفات الشيطان لجس ، وأصاهر ، إليها أحيث صفات الإنس ،
مكانوا مزيجاً من الشرور المراثية وغير المراثية

كما شهد عصرنا من فنون هؤلاء لشياطين أموالاً تزيف صورة الحق ،
إذا هو باطل يحدح العقول ، ويقنى الأعمار في متابعته والتعلق به .

نعم ، شهد عصرنا ذلك الصراع من أجل احتلال الفضاء ، وشحنه
بالموتقات ، ونشر العجور بكل رسائل لإعراء والاستدراج ، تحت شعارات
صاهرها فيه ابرحمة ، وباطنها من قبله العذب ، وهي شعارات (مصالح
الجماهير) و (خدمة الشعب) و (عولة الشدفة) ، وغير ذلك من دعاوى
الباطل ، ولغات (شياطين الإنس) ، والمضمون الوحيد هو الجنس ،
والجنس وحده ، حتى يدهش الإنسان عن قايته ، ويفقد اتصاله بهدته ،
ويبقى مجرد متفرج أبله على ألعاب الشياطين .

أما استقدم ، والحضارة والعداة ، والكرامة ، والقوة ، والدين ،
والنصر على العدو ، والإعداد سمو جهة المحتومة - فكل ذلك كلام أجوف ،
لا قيمة له ، ولا مصممون يكفي أن ينم على أهازيج السلام . وأن
نستسلم لأحلام اليقظة وانام ، بعيداً عن الحركة الناشطة ، والعمل
الإيحاسي ، والبناء الأخلاقي

إنها مراقص الشيطان ، ونواذى الأنايسة ، وملاعب الجنة ، وفنرات
لاتصان بين أعداء الله من الشياطين الملاعبين

مفاتيح الخفي لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿

قرأت الآية وعيسى تتابع الورقة الطائرة عبر المسافة الهائلة وتحلت بعقل حقيقته الرحلة التي تقطعها الورقة في سقوطها إلى موضوع من موضوعات علم الله ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾

أهتلك في الكون كله اسمي جللا من علم الله ١٩

إن بناء الورقة تم بعلم الله وأمره ، وسيحبها الحكم هو ثمرة هذا لعلم ، وتفصلها عن أمها كان معلوم لحالها ، وصريقها ليس صديق السقوط إلى هاوية العدم (مع أن ذلك هو الظاهر) بل هو سقوط سوف يتبعه صعود ، فهي قد فصلت لقيام مهمة إلهية

إن هذه الورقة في طريقها إلى تربة الأرض لكي تتحد بمكوناتها ، وتندمج في جزئياتها ، وتصبح رايها غذاء لما يخرج من الأرض من نبات وشجر ، ومعنى ذلك أن عناصر الورقة قد تعود من خلال السقوط في رحلة أخرى لتصبح عناصر من عناصر عُصْبٍ ناسق ، أو ثمر شهي ، يصعبه إنسان ، فيصير به قويا ويريد فيعطى سلافتيا بكل ديث من المفومات انسانية لورقة التي علم الله دورتها الأبدية ودورة كل ورقة أو حبة مسوقة على وجه الأرض وكل ذرة ساحة في حوض السماء وبعد سبيل الحق شرف وحياة به موضوع من موضوعات علم الله مهما صغر حجمه ، وكل شأن في مرأى العين

كل ما في البر والبحر ، وكل ما جمعه لشجر من ورق وما يعطى

النبات من حب ، وكل رطب ويابس - كل ذلك مدون في كتاب مبين ، كما عرفت الآله

وقد عرفت أن الأرض من محتويات الأرض في قوله تعالى ﴿ وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ﴾ وأقوات الأرض هي قوام وجودها باعتمادها بعيد يروى نفسه نفسه ويخرج من جوفه كل موجود على سطحه ، ثم يستعيد إلى حين ويهيئ رحلة أخرى هي في تقدير الله دورة أخرى عن دورات الحق الإلهي فكل دورة من دور الأرض هي في حساب الاحتمالات إنسان أو حيوان أو طير ، أو حشر ، من كل مدق وجن من خلق الله

ولقد أتت أدعت ما الطل هي أدق إحصاء من كل ما عرفه الإنسان من مدق حصارى أي إن تكوين أي مخلوق ، حتى لو كان ورقة شجرة هو من إحصاء أدق ألف مرة من إحصاء أي اختراع للإنسان (طائرة كالم صاروخا مثلا)

وهذا هو مفهوم التحدي الذي جاءت به الآية ﴿ إن بين يديننا دواوين مما تعملون ﴾ ولما لم يحق لها ولو اجتمعوا له ﴿ لأن تكوين الدابة حق متكامل ، مستقل عن أي مؤثر خارجي ، وقس على ذلك ما هو أدق كسطه ، والميكروب وما يعرف عن يقين علمي أن أدق ما في الأرض تدوس ملايين الكائنات الحية وربما سيراب الدباب التي تعتبر في حقيقتها محركات في حين القوة تدور أن يصبح كتاب في حيز خاص

ولله رده حكيم اعرفه حين قال

حفف اوطاء ما أضرب ريم الأرض إلا من هذه الأحسان

تقرير مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير برأى اللجنة العلمية

التي شكلها مجمع البحوث الإسلامية للنظر في كتاب:

« أبى آدم - قصة الطبيعة بين الحيال والحقيقة »

للكيور / عبد الصبور شاهين

احتراماً لمؤلف له ستة موضوعات دقيقاً بصعب على الباحث أن يصل فيه إلى رأى قاصع أو قور فصل ، يوافق عليه سائر الباحثين ، وهو موضوع بدء حب الإنسان ، ومكان آدم - عليه السلام - في سلسلة الحق للإنهى وما كان قبله وما كان بعده - وقد أن مشهد خلق لإنسان بعيد العور في أعماق التاريخ - وقد وقع حين وقع قس عصر التدوين وتوثيق والنصوص القرآنية في شأنه - على كثرتها - لا يعالج التفاصيل التي تبين كيفية الحق كما لا تحدد مساهمات لرمية التي أحاطت بمراحل ذلك المخلق - لذلك لا يمكن بمباحث قديم أو حديث أن يقطع فيه برأى حاسم تؤيده بصوص قطعية الدلالة ، أو تؤيده شواهد علمية بصرية أو تحريرية تنبع في دلالاتها مرتبة البقين العلمى

ولذلك كله فإن التفاصيل التي يتناولها البحث بالعرض وبداء لرأى، وترجيح حتم على احتمال تكاد تدح كلها في صدق اعيب الذى

ورغم أنه لم يدرك من مكونات لأرض لا وجود الأجساد - وهى هياكل الآباء والأجداد - فإنه وقف بسك على باب السر الإلهى - فما أديم الأرض إلا ذرات تتحول إلى أناسى ، أو حيوانات أو طيور ، أو حشرات أو نبات ، أو ما لا نعلم من خلق الله ، في عالم استكثري

ليس في الأرض ذرة خامدة ، بل هى درات دائرة فى مدارتها مهياة سوئوب من باطن الأرض إلى طاهرها ، كما أراد الله لها أن تكون - إنساناً أو حيواناً أو نباتاً ، أو ما شاء الله مما نعلم أو لا نعلم ، وكل ذلك محكوم بسنة الله ، ذهاباً وعودة دائمين في شكل - ترى رماسى ونحن نؤمن بكروية للزمان كما نؤمن بكروية المكان ، وإن تحققت كروية المكان في شكلها المادي ، فإن كروية الزمان تتحقق في شكلها اندائى (وهو ملحظ لم يفكر فيه أحد ممن تحدثوا في قصة الخلق) تدف للفاعدة * منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى * إلى أن يأتى وعد الله ، وتقوم الساعة

إن من رحمة الله العظمى أنه غيب عنا تسعة وتسعين جزءاً من العلم ، وسمح لنا بجزء واحد نتعامل به ، ونتوكل به ، ولاه سبحانه - علم أن كيان الإنسان لا يتحصر أكثر من ذلك ، وإلا انشقق تحت وطأة لفيض اعرفى .. فكل ما نقوله بل وكل ما يدركه على أى مستوى من المعرفة - قطرات من ذلك الجزء المسموح به من علم الله

وبن إدراك هذه الحقيقة يطأمن من كبرياء الإنسان وعروبه مهم شط به لمر في الإبحار ، فحسبته أن الله قال * وما أوتينم من العلم لا قليلاً *

استأثر الله - سبحانه - بعلمه

وإذا كان اسأحت ملتزما المنهج الذى حدده لنفسه - والذى مستشير إليه - قد توصل إلى عدد من الآراء التى استخرجها باستنطاق النصوص لقرآنية - كما يقول - بل أسحة لا تحوص فى هذه الآراء ، منصوبة لها و محطلة وإنما حدد المجمع مهمتها فى التثبت مما إذا كان الكتاب قد شتمل على آراء مخالفة للنصوص قطعية بآراء وقصعية لدلالة أو خالفت شيئاً مما علم من الدين بالضرورة من ثوابت المعتقد الإسلامى أو ثوابت الشريعة لهذا فقد بوجهه - وهى تقرأ لكتاب وتعيد قراءته لى مراجعة أمرين اثنين

أولهما : المنهج الذى حدده المؤلف لنفسه وسار عليه فى بحثه الثانى : مصموم بعض الآراء التى انتهى إليها من حيث اتفاقها مع ثوابت المعتقد الإسلامى مما عرف من الدين بالضرورة أما المنهج الذى اتبعه المؤلف فقد وصفه إجمالاً فى مقدمة الكتاب حيث حدد هدفه من بحثه بأنه محاولة لفهم النصوص التى جاءت فى القرآن الكريم ، وهى قطعية (نظنه يعنى قطعية بآراء) ، تروى وتأتى قصة الحلق وأيضاً لتوفيق بين التصوير القرآنى والاتجاه العلمى فى تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض ، ولا حرج علينا فى هذا ما دمنا نرعى دراسة النصوص بآراءه ، وما دمنا لا نخالف معلوماً من الدين بالضرورة وما دمنا نقدم رؤية عقلية تحترم المسطق وتستطو اللغة من جديد ، وتدعم إيمان المؤمنين بما يتطوى عليه كتاب الله من أسرار قد كثر خفت عن بصائر دوى التمييز ثم أدرك الله - سبحانه - لبعض أسرار يكشف ، وللرؤبة أن تتجلى

ولا ترى لنصه فى هذا التوجه مأخذاً تأخذه على الباحث - م - ٢٠ يلزم به ، ولا يخرج من صوابه - وقد تبين للجنة أن ما يقصده - م - (بالاتجاه العلمى) فى تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض - م - هو احترام النتائج التى توصلت إليها علوم البيولوجيا وعلوم الإنسان (الأثنولوجيا) وأننى اعتمدت فيما وصلت إليه من نتائج - م - دراسات مستفيضة ومتواصلة لطبقات الأرض وحواسها وللحس - التى ترشد إلى ما عاش على كوكب الأرض من مخلوقات - وانتهى به على وجه التقريب - الأمد الفاصلة بين مراحل تطور الحياة على ظهر هذه الكواكب - وتفصيل ذلك وارد فى الفصل الثانى من الكتاب - م - أخبار له مؤلف عنوان « أسطرة العقلية » وقد لاحظت أسحة أن مؤلف بعد أن أورد آراء العلماء فى انصوير البيولوجية وأماها بالرمزية - م - لا تغاب إلى بسببها - وأن ما قل به لعمرك فى شأنها لا يبلغ أمد - م - اليقين العلمى ، فهو يصنعها جميعاً (ص ٢٦) بأنها « جملة من انصيرات المشتجرة والمبعرصة التى تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان - م - فى هذا الحلق - وهى كلها تؤكد بسبب انصيرات التى تضمنتها - م - واحدة منها أدلتها التى تستند إليها فى تقرير جواب انصوير انصيرته ولحقته - ولا ريب أن فى كل منها شيئاً من لحقيقته ، وأشياء من أدلة - م - نصب فى بحر لصلان - ويريد لكاتب موقف هذا وصوحا حين بعد - م - بهية انصير انصير من كتابه ص ٤٢ مقبولة بين دلالات العلم - م - انصير ، فيقول - م - لا بد أن سلم بأن معطيات انصير انصير - م - فى أغلب الأحيان - م - هى روى بسبب - م - حيث إن انصير - م - إليه مزتهر بفساد من السبب - م - والقدرات الذببة ، والذلال

المتاحة.. إلخ .. أما القرآن - وهو الكلمة الإلهية في الخطاب ما بين السماء والأرض ، أو ما بين الأعلى والأسفل - فإنه - ولا شك - يقدم للعقل الإنسانى الحقائق النهائية في الموضوع ، ولكن الأجيال تتفاوت في فهم النص المقدس ، حتى يبدو ما استخرجته الفكر الدينى - حتى الآن - من المصوح مبدئيا للعلم ، ولا سبيل إلى تحقيق اتفاق بينهما ، ونحن نقرر - بأدى ذى بدء - أن التناقض بين القرآن وما توصل إليه العلم من حقائق نهائية مستحيل ، وإنما يأتى التناقض من جهة أن العلم لم يستقر بعد على بر الحقيقة الكاملة ، بل ما زال يدور في إطار النظريات الظنية الدالة ، إلى جانب أن التناقض قد يأتى من ضعف التفكير الذى تتم به معالجة الأفكار

وترى اللجنة أن هذا المنهج سليم لا عوج فيه ولا مأخذ عليه ، وأنه هو عين المنهج الذى سار عليه علماء الأمة الثقات في سعيهم - عبر العصور - لرفع التناقض الموهوم بين العلم والدين ، وقد بذلوا في ذلك جهودا كبيرة لم ينكرها عليهم أحد ، بل عدوها جهادا علميا محمودا يؤجر عليه أصحابه ، كما وجدوا فيها نفع كبيرا وفائدة محققة في رد (عوادي التشكيك) التى وجهها بعض الفلاسفة وبعض الملاحدة ضد عقائد الإسلام وشرائعه .

أما ما انتهى إليه المؤلف في موضوع بحثه فيتلخص فيما يلى :-

١ - أن الحياة على هذه الأرض قد سبقت خلق الإنسان بآلاف طويلا يصعب تحديدها

٢ - وأن الإنسان الذى كرمه الله وأمر ملائكته بالسجود له هو امتداد مخلوق واحد هو المشر ، وليس - كما تقول نظرية التشو

والارتقاء - حلقة في سلسلة تطور كانت القردة فيها حلقة سابقة ، ثم تحولت إلى أن صارت (الإنسان) الذى نعرفه .

٣ - وأن الله تعالى خلق (البشر) من طين .. ولكن ليس في آيات القرآن ما يقطع بار آدم - عليه السلام - قد خلق مباشرة من ذلك الطين ، وأن الاستعمال القرآنى لكلمة (بشر) يدل على كائن سابق في الزمان وفي الكيف على (الإنسان)

٤ - وأنه لا حاجة إلى تحديد حقيقة وطبيعة الطين الذى خلق منه البشر ، فالقرآن يعبر عنه تارة (بالتراب) وتارة بأنه (طين لازب) وثالثة أخرى بأنه (صلصال كالفخار) أو أنه (صلصال من حمأ مسنون)

٥ - أن الله تعالى قد تناول البشر المخلوق من طين فسواء وصوره ، وأن هذه التسوية لا يلزم أن تكون قد تمت على الفور في أعقاب الخلق ، بل إن الخلق والتصوير مرحلتان في عمر البشرية .. لعلهما ستفرقتا بضعة ملايين من السنين ، والتصوير هنا يقابل التسوية في موضع أخرى ، مع ملاحظة استعمال الادة (ثم) التى تفيد التراخي بين الأمرين (ص ٨٦)

ويوجد المؤلف رأي في قصة الخلق كلها بقوله : إن الإنسان يخرج من المشر ، وأنه (قبل التسوية) لم يكن المخلوق البشرى إنسان بل كان مشروع إنسانا في حيز القوة قبل أن يكون إنسانا في حيز الفعل ..

وفي سياق شرحه لرأيه يشير المؤلف إلى عدد من الآيات القرآنية التى يراها تشهد (لهذا رأى) .. من ذلك إشارته إلى قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون ١٢] . ويقول فى

ويبين وجه استدلاله بها : وكان الآية تدفع عن العقل إدماج العمليتين في عملية واحدة ، فالإنسان خلق من (سلالة) نسلت (من طين) ، أى أنه لم يخلق مباشرة من الطين ، أما ابن العلقين مباشرة فهو (أول البشر) وكان ذلك منذ ملايين السنين ، ثم يشير المؤلف إلى قوله تعالى في سورة السجدة ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩]

ويجمع المؤلف رأيه كله في قوله من ٩١

« فخلق الإنسان بدأ من طين ، أى ، في شكل مشروع بشري ، ثم استخرج منه نسلا (من سلالة من ماء مهين) ثم كانت التسوية ونفخ الروح ، فكان (الإنسان) هو الثمرة في نهاية المطاف . عبر تلك الأطوار التاريخية السحيقة العتيقة .. »

ويتحدث الكاتب في سياق هذا الشرح عما يسميه (مراحل التسوية) مستدلا بآيات لا نراها في الحقيقة شاهدة بالضرورة لما ينتهي إليه من رأى ، فهو - على سبيل المثال - يستدل بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [السجدة ٩٠] وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [الحل : ٧٨] فيقول ، إن هذا العمل قد تم خلال مراحل التسوية .. وإن الله - تعالى - جعل للبشر هذه الأدوات في مراحل التسوية المتعددة حيث شاءت القدرة أن تزود هذا المخلوق بشئ ما يحتاج إليه من أدوات لكيان أم في خصوص آدم - عليه السلام - وعلاقته بما كان قبله من

المخلوقات . فيقول المؤلف إنه يستطيع أن يقرر - مع علماء الإنسان - أن الأرض عرفت بهذا الخلق الذي ظهر على سطحها منذ ملايين السنين ، وقد أطلق العلماء على هذا المخلوق - حفا أو تجاوزا - لفظ (إنسان) فقالوا : إنسان مكبر ، أو إنسان جاوة ، أو إنسان كيبا .. واستخدم كلمة (إنسان) على وصف هؤلاء ليس إلا على سبيل التوسع .. وإلا فاللفظ الدقيق بلغة القرآن والذي ينبغي أن يستخدم في تسمية تلك المخلوقات العتيقة التي تدل عليها الأحاديث هو البشر ..

أما الإنسان فلا يطلق - بمفهوم القرآن - إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير ، وهو الذي يبدأ بوجود آدم - عليه السلام - وآدم على هذا هو أبو الإنسان وليس أبأ البشر ، ولا علاقة بين آدم والبشر الذين يادو قبله تهيداً لظهور ذلك النسل الآمى الجديد ، اللهم لا تلك العلاقة التذكارية ، باعتباره من نسلهم ..

ويضيف المؤلف (من ١٠٥) ، إن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هامة ، هي : الحق ، لتسوية ، النفخ .. وأن مرحلة الخلق الأول هي التي أحالت انشرب - أو الطين - إلى مخلوق ظاهر (بشر) يتحرك على الأرض بأرواح الحيوان ، كما تتحرك سائر الكائنات .. ثم تناولت القدرة ذلك المخلوق في المرحلة الثانية بالتسوية أو ما يمكن تشبيهه بهندسة البناء وتحملته ، وهي مرحلة التعديل المادي أو الظاهري ، وقد استغرقت ملايين السنين ، وأنه أعم بتعريفها ، ثم جاءت المرحلة الثالثة ، وهي امتلاكه من ترويض مخلوق يسوى بالملكات والقدرات العليا التي حوهرها (بعصر) وركب كمن مشروع بناء (الإنسان) فكان (آدم) هو أول (الإنسان) وظليعة سلالة لتكليف متوحيد الله وعبادته

ولهذا لا ترى اللجنة فيما كتبه المؤلف محاولة للتوفيق بين العلم والدين بقدر ما ترى فيه اجتهاداً منه في فهم النص القرآني ، وهو اجتهاد لا توافق اللجنة المؤلف على بعض أجزائه ، حيث لا يكفي ما ساقه في هذا التدليل ليقرر النتائج التي انتهى إليها ، وإذا كانت اللجنة قد حددت مهمتها - على ما سبق - بأنها بيان ما إذا كان المؤلف قد تجاوز الحد في تأويلاته للنصوص القرآنية .. تجاوزاً يخالف به ثوابت العقيدة أو يتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فإن الذي تنتهي إليه اللجنة أن المؤلف لم يقع في مثل تلك المخالفة .

وإن كان ذلك لا يعنى أن اللجنة تقرأ على كثير من التأويلات التي أول بها بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وعلى الأخص ما أشار إليه من أن آدم - عليه السلام - يمكن أن يكون قد خلق من أبوين ، وما انتهى إليه في شأن العلاقة بين البشر والإنسان ، كما أنها لا تنزه على بعض التعبيرات التي استخدمها في سياق تدليله ، والتي ترى اللجنة أنها غير لائقة في وصف المشيئة الإلهية في أمر الخلق ..

وتود اللجنة في ختام تقريرها أن تنبه إلى أمور ثلاثة :

أولاً : أن مجمع البحوث الإسلامية لا يحجر على اجتهاد المجتهدين أو فكر المفكرين ؛ إذ هو مجمع للبحث العلمي ، يشجع الاجتهاد ، ويحرص على ضبط مناهجه ، ويمارس ذلك الاجتهاد بما يقدمه من دراسات وأبحاث لكبار العلماء المتخصصين في العلوم الإسلامية على اختلافها .

ثانياً : يؤمن المجمع بحاجة هذا الجيل من المسلمين إلى متابعة اجتهاد وتقليب النظر في الآفاق وفي الأنفس ، وإلى مواكبة التطورات

العلمية الهائلة التي غيرت أساليب معيشة الناس وأوضاعهم خلال القرن الذي توشك (الإنسانية) أن تودعه ، وذلك باجتهاد متصل وفقه متجدد ، وبصر دقيق بحاجات الناس التي صارت تتغير بسرعة هائلة (بتغير الأمكنة والأزمنة والأحوال) ، على أن يتم ذلك كله بطبيعة الحال من خلال منهج علمي أصولي دقيق ، لا يخالف فيه الباحث شيئاً من ثوابت العقيدة أو الشريعة ، ولا يميل - مهما كانت البواعث - عن قول الحق في تجرد وصدق وشجاعة .

ثالثاً : يوصي المجمع الباحثين - دون حصر على حريتهم في اختيار ما يبحثون أمره وما يكتبون فيه - أن يلاحظوا حاجة الأمة إلى علم العلماء واجتهاد المجتهدين لمواجهة المشاكل الكبرى التي تواجه المسلمين - أفراداً وجماعات وشعوباً - في عصر سقوط الحواجز بين الشعوب ، وتوجه أبناء الحضارات المختلفة إلى التعارف والتواصل ، وفي كل ما ينعرض له الإسلام والمسلمون من سوء فهم بسوء معاملة في كثير من أقطار الأرض ، وأن يتجنبوا - ما وسعهم - شغل عامة الناس بقضايا قد تكون لها - على أهميتها القليلة - أثر جانبي غير نافع تشغل الناس عما ينبغي أن يتوجهوا إليه أو توقعهم في حيرة وسوء فهم وجدال طويل فيما لا ينفعهم .

كما يوصي المجمع الباحثين في أمور العقيدة ولشريعة - خصوصاً حين يقتضيهم البحث تناول آيات الكتاب الكريم بالتفسير أو التأويل - أن يتخبروا لأرائهم المصطلحات والتعبيرات التي تناسب مقام الوقوف

الخاشع بين يدي كتاب الله ، حتى لا يتوهم قارئه أو مستمع أن استخدام بعض المصطلحات الشائعة والجارية بين الناس ينطوي على مساس بقدسية القرآن الكريم ..

والله تعالى نسأل أن يعصمنا من الزلل . وأن يعيننا على حمل أمانة العلم بحقها ، وهو - سبحانه - يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

صادق مجلس مجمع البحوث الإسلامية على هذا التقرير بصيغته هذه في جلسته يوم الخميس ٢٢ من ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ الموافق ٥ من أغسطس ١٩٩٩ م التي عقدت برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

تحريراً في : - ١٤٢٠/٤/٢٥ هـ
الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية

(سامي محمد متولى الشعراوى)

فهرس الكتاب

الصفحة

	الفصل الثامن :
١٠٣	الطريق إلى الجنة
١٠٩	البرهان اللغوي
	الفصل التاسع :
١١٥	برهان التكرار - الإنسان مرة أخرى
١٢٠	آدم أبو الإنسان
	الباب الثاني :
١٢٥	وقائع القصة
	الفصل الأول :
١٢٧	البشر واللغة
	الفصل الثاني :
١٣٧	الإنسان والملائكة
١٣٩	علاقة الإنسان بالملائكة
	الفصل الثالث :
١٤٣	السجود للنبي الإنسان
	الفصل الرابع :
١٤٩	موقف إبليس من السجود
	الفصل الخامس :
١٦٣	بين إبليس وآدم في الجنة
	الفصل السادس :
١٧١	اللغة والأسماء القديمة
	الله - الملائكة - آدم
١٧١	إبليس - الشيطان
١٧١	الله
١٧٣	الملائكة

الصفحة

٥	مقدمة الطبعة الثانية
١٩	مقدمة الطبعة الأولى
	الباب الأول :
٢٥	القصة بين العقل والنقل
	الفصل الأول :
٢٧	القصة والإسرائيليات
	الفصل الثاني :
٣١	النظرة العلمية
٤٩	الإنسان بين العلم والقرآن
	الفصل الثالث :
٥١	نظرة القدماء إلى وجود الخليفة
	الفصل الرابع :
٥٧	حديث القرآن
	الفصل الخامس :
٦٧	أولاً : إلهام الملائكة
٧٠	ثانياً : خلق البشر من طين
٧٤	استعمالات القدماء لكلمة (بشر)
	الفصل السادس :
٧٧	أولاً : حقيقة الطين
٨٣	ثانياً : الخلق النفسي
	الفصل السابع :
٨٥	البشر والإنسان
٩٠	القرآن المكي
٩٣	الإنسان وخروج من البشر
٩٨	القرآن المدني

الصفحة

١٧٤	آدم
١٧٥	إبليس
١٧٧	الشيطان
١٨٠	إبليس في القرآن
١٨٣	الشيطان في القرآن
١٩١	خاتمة : تأملات في المسألة الخلقية
	فهرس الموضوعات

رقم الإيداع

٢٢٠١/١٨٣٢٢

تقسيم الدولي

977 - 08 - 1031 - 2

مطبع أنوار اليوم ٦ أكتوبر